البيان

السنة الاولى الجزء السادس

اول اوغسطس سنة ١٨٩٧

الصابئة

(تابع لما فى الجزء السابق)

ولما فرغ هيويل زيوو من خلق الأَرَضين عاد الى موردّربوتو فأنهى اليهِ ما فعل فقال « هلمَّ الآن فاشرع في خلق السماوات السبع ولتكن الاولى منهنَّ على اثني عشر الف فرسخ عن الارض . ومتى فرغت من خلقهنَّ تأخذ شيئاً من مآء الحياة وتسقيهِ لروحايا ثم تتلو ثلاث كلماتٍ سرية وهي شَمْشميال ودُمدُميال وإِجدحيال فتحمل لساعتها وتلد سبعة بنين آخرين يكونون سبعة سيّارة فتُفيض على هذه السيّارة النور وتحملها على عجل

« وبعد ذلك تصير الى النهر المسمى « دكشوشو » فتأخذ جميع الملائكة الذين تجدهم هناك[1] وتكلفهم حفر اربعة انهار تسميها « فراش زيوو » اي الفرات النيّر و « دجلة زيوو » و « هشترخان » اي هشتر الاكبر و « شاران زيوو »[2]

---

١ هم صنف من الملائكة خلقوا ليكونوا فى الارض ايديهم وارجلهم فى هيئة المعاول ٢ تزعم الصابئة ان جميع المياه كانت من قبل مرة ولكن هذه الانهار الاربعة عذبت لان هيويل زيوو ترك فيها شيئاً من ماء الحياة

« ثم تتخذ اربعة محابس للرياح تجعلها في اربع جهات الأُفق وتوكل بها اربعة من الملائكة

« ثم تقيم سبعة « مَتَرُوثات[1] » لعذاب المجرمين وتترك هناك طائفةً من الملائكة الذين يكونون معك ليتولّوا عقاب الأَثمة وتفوّض تدبير كل واحدٍ من هذه المَتَرُوثات الى واحدٍ من السيّارة السبعة يتسلط عليهِ . ولأُولئك السيّارة ايضاً اعمالٌ اخر تسخَّر بها فالشمس لحكم النهار والقمر لحكم الليل والبواقي للأحداث الجوّيّة من نحو البرق والرعد وغيرهما

« وعلى عقِب ذلك تخلق « مشوني كوشتو » وهو العالم السرّي وتأخذ من سكان « عولمي فتاحيل[2] » رجلين وامرأتين فتجعلهم في مشوني كوشتو وتزوج الرجلين بالمرأتين فيكون سكان هذا العالم من ذُرّيتهم

« ثم تخلق آدم الارض وهو « آدم جاورو قدمويو » من التراب ومتى وُلد لهُ اولاد تزوّج بناتهِ لرجال من سكان مشوني كوشتو وتتخذ من بناتهم ازواجاً لبنيهِ . ومتى فرغت من جميع ذلك تذهب فتقيم على حدود المَتَرُوثات ومن هناك تتولى تدبير العوالم التي خلقتها » . فعمل هيويل زيوو بكلّ ما رسم لهُ موروردّ ربوتو ثم انطلق فأقام حيث امرهُ

ولما حفلت تلك العوالم بالسكان ارسل هيويل زيور فدعا اليهِ « فتاحيل » وهو احد الثلاث مئة والستين شخصاً السماويين فولاّهُ السيطرة على المتروثات

ورأى فتاحيل ان اهل الارض قد كثروا جدًّا فبعث اليهم احد بنيهِ (وهم الاوبئة) لينقص من عددهم فازداد بذلك سواد الانفس الواردة منهم

---

[1] هذه الاماكن هي جحيم الصابئة ومحلها في اقاصي الارض حيث تشرف اطرافها على رأس اور. وقد وردت تسميتها في صفحة ١٠٦ و٢٠٢ بلفظ متروثوس والصواب كما هنا [2] ناحية عند حدود عالم الانوار

الى الجحيم . وكان هيويل زيوو قد سدّ المنفذ الذي يُفضِي من هناك الى عالم الأنوار فاشتدّ الزحام بكثرة الوافدين يوماً بعد يوم حتى ضاق بهم المكان وتضايق فتاحيل من تلك الحال فانطلق الى هيويل زيوو وشكا اليهِ ما هم فيهِ من ذلك وسألهُ اطلاق الانفس التي استوفت عذابها الى الفردوس فأبى هيويل زيوو وقال ما كنت لأُدخل الفردوس نفساً قد تدنست بالاثم ولكن أرسِل المَلَك سوريئيل[١] الى مشوني كوشتو وهناك رجلٌ من الصلاّح يقال لهُ شيشيل بر آدم فيقبض نفسهُ ويأتيك بها فتجعلها معياراً تزن بهِ تلك النفوس بأن تضعها في احدى كِفّتي ميزان القضاء وتجعل في الكفّة الاخرى النفس التي قد تطهرت من آثامها فان وازنَتْها في الطهارة ترسلها الى مقام السعداء والاّ لبِثَت عندك حتى تستتمّ طهارتها . فأرسل فتاحيل فجيء بنفس شيشيل وجعلها في كفّة ميزانهِ فكانت زنتها ستّ مئة وستّين مثقالاً ثم أُخِذت الانفس التي استوفت عقابها ووُضعت في الكفة الاخرى واحدةٌ بعد واحدة فلم يكن فيها نفسٌ توازن نفس شيشيل فأعيدت الى العذاب

وان سكّان عالم الانوار كانوا يتوقعون ان تمتلئ الارض الجديدة بالخلائق من البشر وان تتوارد عليهم الوفود منهم فلما طال امد الانتظار ولم يطرقهم احدٌ استاءوا لذلك وعلموا انهُ كان مسبباً عن تشدُّد هيويل زيوو فانطلقوا الى مورودَّربوتو وعرضوا عليهِ الامر وسألوهُ التسامح في امر اولئك الوافدين والاّ لم يصل الى عالم الانوار منهم احد . فبعث مورودَّربوتو الى هيويل زيوو يستقدمهُ اليهِ فلما دخل عليهِ سألهُ عن الامر فأعلمهُ بما كان ورأى مورودَّربوتو انهُ بتصلّبهِ غير اهلٍ للخطة التي اختارهُ لها فقال لهُ ارى ان هذا الامر لا يخلو

---

(١) هو عزرائيل الصابئة

من مشقةٍ عليك فعُد الى تدبير مملكتك في عالم الانوار وانا اجعل مكانك أواثار . فرضي هيويل زيوو بذلك وعاد الى مملكتهِ واستوى أواثار في مكانهِ ومذ ذاك فُتح منفذ المتروثات فخرج منها خلقٌ كثير ولحقوا بعالم الانوار

اما الدينونة عندهم فاذا خرجت النفس من جسم الصابئ مهما كانت حالتهُ فلا بدَّ ان تذهب الى المَتَرُوثات وهذه يصار اليها من عالمنا في طريقين احدهما للانفس الطاهرة والثاني لغير الطاهرة والنفس تقطع كلاًّ من هذين الطريقين في سبعين يوماً فان كانت غير مُثقَلةٍ بالذنوب قطعت وحدها بغير مساعد والا فيقودها اثنان من جلاوزة الجحيم . فاذا بلغت المتروثات اجتازتها حتى تقف امام أواثار فيدينها فان وجدها بريئة من كل وصمة خطآء ارسلها مصحوبةً بامرٍ منهُ الى شاطئ « نهرو دكشوشو » فيُعبَر بها من ثمَّ الى مقام السعدآء الذي هو عالم الانوار فتتمتع هناك بالنعيم الخالد وان كانت مدنّسةً بالمعاصي ارسلها الى فتاحيل وعيَّن لهُ نوع عذابها ومدّتهُ فيُدخِلها الى الموضع الذي ينالها فيهِ ذلك العذاب

امّا انواع العذاب عندهم فتختلف باختلاف انواع الجرائم فمنها ان توضع نفس المجرم في كَظَم أور أي في مجرى نَفَسهِ فيتعاقب عليها نسمتان احداهما كأحرّ ما يكون من السَّمُوم وذلك عند اخراج النَفَس من صدرهِ والأُخرى كأبرد ما يكون من الزمهرير وذلك عند اجتذابهِ من الخارج واصحاب هذا الصنف من العذاب هم الزناة

ومنها صنفٌ يقال لهُ « نوروديا كو » أي نار الجحيم وهو تنّورٌ بالغٌ من الحرارة ما تكون نارنا عندهُ بردًا وسلامًا فتُعلّق انفس المعذَّبين على جدران هذا التنور حيناً ثم تُخرَج منهُ ثم تُرَدّ اليهِ وهلمَّ جرًّا وهو عذاب السارقين

ومنها أن يُوضَع المُعاقَب بين صخرين عظيمين فيضغطان عليهِ ضغطاً شديداً حتى يتفلطح جسمهُ ويكاد يختنق ثم ينفرجان عنهُ فيعود الى ما كان عليهِ وبعد ذلك يعودان فيضغطان عليهِ ويكون ذلك ثلاث مراتٍ كل يوم وهو عذاب من يخون شريكهُ

ومنها سلسلةٌ تتدلى من سقف المكان فتُشَدّ بها عنق المذنب فيبقى منتصباً على قدميهِ لا يستطيع ان يثني ركبتيهِ ولا يتحول عن موقفهِ وهو عقاب اهل الضغائن

ومنها ان يُلبَس المجرم لباساً من الثلج وهو جزآء المتجسسين والنمامين والذين يرمون الابريآء بالرِيَب ويلقونهم بين ايدي الحكّام

ومنها سلكٌ من الحديد يُحمَى بالنار الى ان يحمرّ ثم يُدخَل في احدى أُذني المعذَّب ويُخرَج من الاخرى على الدوام وهو عقاب من يسترق السمع

ومنها ان تُملأ راحتا المعذَّب ناراً ويؤمر أن ينفخها بشفتيهِ حتى لا يخمد اشتعالها فتصير بذلك كفّاهُ جمراً ولكنهما لا تحترقان وهو عذاب الكذابين

ولهم ضروبٌ اخرى من العذاب لا نطيل باستقصآئها تطول مدتّها وتقصر تبعاً لعِظَم الجرم وكميّتهِ الاّ انهُ ليس شيءٌ منها بخالد على المجرم الاّ من قتل نفساً او كان سبباً في قتل احدٍ ولو كان قاتلاً ومن كان علّةً في خروج احد الصابئة الى دينٍ آخر بأيّ حجةٍ كانت ومن زنى ببكر فان هؤلآء يكون عذابهم مؤبداً

وهذا كلّهُ فيما يختصّ بالصابئة واما سائر الامم فمن عاش منهم عيشةً صالحة ذهبت نفسهُ الى مكانٍ يقال لهُ « شخينو تون » وهو موضعٌ من عولمي دْاَحشُوخو حيث لا يقاسي شيئاً من العذاب ولكن لا يكون لهُ شيءٌ من السعادة واما من كان منهم شريراً فانهُ يهلك لا محالة ويكون طعاماً لأُور

وعولمي دلحشوخو هذا عالمٌ سماويٌّ محلهُ الى شمال أَواثار وهو مقام اشرار الصابئة ومن ذُكر من صُلَّاح سائر الامم كما أن عولمي دنهورو اسيے عالم الأنوار هو مقام مختاري الصابئة ومحلهُ الى يمين أَواثار وهو بجملتهِ مؤلفٌ من البلور النقي

أمّا شعائر دينهم فمنها المعمودية وهي ما لا بدّ منهُ لأطفالهم اذا بلغوا سنةً فما فوق واما الأجنبيّ فلا ينالها البتة لانهُ لا يمكن ان يُقبَل في دينهم غريب وما خلا ذلك فانهم يتعمدون كثيرًا كلما راموا الطهارة من جنابةٍ او اثم . وهي تُستعمَل عندهم في كل يوم احد او يوم عيد وعند الرجوع من سفر في بلدٍ اجنبي وبعد الخروج من السجن وبعد الاكل من ذبيحة غريب او من لحمٍ محرَّمٍ وهو لحم كل ذي ذَنَب او اكل شيء من الفاكهة او البقول المشتراة من السوق قبل غسلها بالمآء وفي احوال أُخر كثيرة غير هذه يطول تعدادها

اما كيفية تعميد الطفل عندهم فان امهُ تحملهُ في يوم احدٍ او عيد الى القسّيس فيمضي بها الى النهر مصحوبًا باثنين من الشمامسة فاذا بلغ الشاطئ وقف فصلَّى ثم حمل احد الشمّاسين الطفل وجعل القسيس في احدى اصابعهِ خاتمًا من خشب الآس ثم ينزل القسيس في النهر ويليهِ الشماس ويغترف القسيس المآء بيديهِ ويرسلهُ على الطفل بكثرة على ثلاث دفعات ويقول «اعمّدك باسم الثلاثة الله ومندودابي ويحيى يوحنا . اعمّدك معمودية بهرام العظيم ابن رور بي . لتكن معموديتك حارسةً لك ورافعةً ايّاك الى العلآء» . ثم يخرجان من المآء وينزع القسيس الخاتم من يد الطفل ويضعهُ على رأسهِ ثم يبخرهُ ويدهن جبهتهُ بدهن السمسم المقدَّس ويقول «لتُوسَم بسِمَة الحيّ» ثم يدهن عنقهُ ويقول «اسم الحيّ واسم مندودابي يُذكَران عليك» ثم يدهن معدتهُ واخيرًا يمسح يديهِ

بيدي الطفل . ومتى فرغ من ذلك ينحني الى الارض فيهمس اليها بكلامٍ سرّي ثم يأخذ قلنسوتهُ عن رأسهِ ويقبّلها ستين مرّة وبعد ذلك يتناول الشماس الخاتم عن رأس الطفل ويَضَعهُ على شَفَتي الطفل ثم على جبهتهِ ثم يطرحهُ في النهر

وعند الصابئة ايضاً الوضوء وهو كالمعمودية لا يكون الاّ من ماَء نهرٍ او معينٍ جارٍ الاّ أن وضوءهم يعمّ البدن كلهُ فيذهب احدهم الى النهر ويخلع ثيابهُ ثم يجلس على الشاطئ فيغسل اولاً شعر رأسهِ ثم ينزل في المآء الى سُرّتهِ ووجههُ دائماً مستقبلٌ للمجرى ثم ينغمس ثلاثاً وفي كل انغماسةٍ وبين كل انغماستين لهُ كلامٌ يقولهُ . وفي خروجهِ من النهر يغسل وجههُ ويفرك جبهتهُ ثلاثاً ويُدخِل اصابعهُ وهي مبلولةٌ ثلاث مرات في اذنيهِ ومنخريهِ ويمضمض فمهُ ثلاثاً وبعد ان يقذف المآء ثلاثاً على ركبتيهِ وساقيهِ يغمس قدميهِ ثلاثاً في مجرى المآء واخيراً يدفع المآء بيديهِ ثلاث دفعاتٍ كأنهُ يطرد النجاسة عن نفسهِ ويخرج . اما اوقات الوضوء عندهم فهي كل يوم احدٍ او عيد اذا لم يجبّ ان يتعمد واذا لمس لحماً من ذبيحة اجنبيّ او اصابهُ رُعافٌ وهو سيلان الدم من الانف او استخرج دماً من جسمهِ او جُرِح بحيث يبدو منهُ الدم وبعد الجنابة والمرض او تناوُل شيءٍ من الدوآء الى غير ذلك

وعند الصابئة الاعتراف وهو قريبٌ منهُ عند النصارى ولا يكون الاّ سرًّا . وعندهم نوعٌ مما يسمى بالافخارستيا يتخذونهُ من البُرّ يعجنونهُ بلا ملحٍ ولا خميرٍ ويجعلونهُ رُقاقاً في أرقّ ما يستطاع ويختبزونهُ في تنّورٍ جديد ثم يقطعونهُ قِطَعاً مستديرة فاذا قدّس عليهِ كهنتهم صار خبزاً سماويًّا من مثل ما يقتات منهُ سكان عالم الأنوار ويناولونهُ للشعب في ايام الاعياد وهم يتعمدون قبل

تناوله ولا يستحقهُ الا من كان حسن السمعة مشهورًا بالصلاح . وفائدتهُ عندهم تجديد قوة الايمان وتجديد تطهير النفس واذا كان متناولهُ من اهل الورع وتأمل في سعادة عالم الانوار امكنهُ ان يراهُ بعيني رأسهِ منبسطاً امامهُ فيتمتع بمنظرهِ ما دام في ذلك التأمل . واذا أثِم المتناول بعد اخذهِ كان عقابهُ عشرة اضعاف مما لو أثم بدونهِ

وهم يعظّمون يوم الاحد وينقطعون فيهِ عن الاشغال لانهُ في هذا اليوم من كل اسبوع ينزل « حُوشَبّو[1] » احد الثلاث مئةً والستين شخصاً السماويين من عالم الانوار فيعمّد اهل مشوني كوشتو ولذلك يسمون هذا اليوم باسمهِ كما سبق الكلام عليهِ . ولهم عدا الأحد ستة اعياد منها يوم رأس السنة ويسمونهُ « نوروز ربّو » اي النوروز الكبير ويقع في اول يوم من الشهر الاول من الشتآء وهو ستة ايام . وفي الليلة التي يكون العيد في غدها تصنع كل أُسرةٍ آنيةً من الخزف بعدد اهل البيت ويملأونها فاكهةً رطبةً ويابسةً كالتفاح والجوز واللوز واشباهها وتُحفَظ لتؤكل بعد انقضآء العيد وتذخر كل أُسرةٍ ما تحتاج اليهِ من المآء لتشربهُ في ايام العيد لانهُ يَحرُم عليهم الخروج الى النهر في تلك الايام . وفي ليلة العيد يتعمد الصابئة بأسرهم ولئلا يصابوا بجنابةٍ في تلك الليلة يحيونها سهرًا الى الصباح ولا يخرجون في ذلك النهار مخافة ان يتدنسوا بشيء يلمسونهُ ولو ساق شجرةٍ او طاقة بقل واذا وقع لهم ذلك اضطُرّوا الى الاغتسال في النهر والبقآء اربعاً وعشرين ساعةً دون غذآء . وفي ذلك اليوم ينظر القسّيسون والعلمآء منهم في كتب التنجيم ليعلموا ما يكون في تلك السنة من خصبٍ او جدبٍ . ومن كان عندهُ شيءٌ من الحيوان لم يجز لهُ الاهتمام بهِ ايام العيد ولا الاغتذآء

---

١ روى هذا الاسم فى صفحة ٢٠٢ خوشابو والصواب ما هنا

بلبنهِ ولذلك يعهدون في مواشيهم قبل العيد الى جيرانهم من النصارى او المسلمين فيهتمّون بها و يغتذون بألبانها ولا يجوز لهم في مدة العيد ذبح شيء من الحيوان ولذلك يُعِدّون ما يأكلونهُ من اللحم قبل العيد

ومن اعيادهم عيدٌ يقال لهُ « الفانشو » او « الطانشو » وهو خمسة ايام هي التي يكبسون بها سنتهم لان جميع الاشهر عندهم ثلاثون يوماً على السوآء والسنة ثلاث مئة وخمسة وستون يوماً . وموقع هذه الايام بين الشهر الثامن والتاسع وكلٌّ منها مخصوصٌ بواحدٍ من الاشخاص الثلاث مئة والستين السماويين فالأول لأنوش اوثرو والثاني لشيشلوم ربّو والثالث ليوخاشار كَنّو والرابع لنابوت زيوو والخامس لبهرام ربّو . وفي هذا العيد يتعمد الصابئة بأسرهم و يلبسون البياض ثم على كل واحدٍ منهم رجلاً كان او امرأةً ان يغتسل في النهر ثلاث مرّاتٍ كل يوم اي قبل كل وجبةٍ من الطعام . وهذا العيد مخصوصٌ بأن لا يجوز تقديس الكنائس المُحدَثة الّا فيهِ ولذلك اذا ارادوا بناَء كنيسةٍ شرعوا فيها قُبَيل حلولهِ حتى تكون في اول يومٍ منهُ مُعَدّةً للتقديس . والكنائس عندهم انما تُبنَى من القصب ولا تكون الّا بجانب نهرٍ فياخذون القصب حُزَماً مشدودةً ويخطّون بقرب النهر الخط الذي ينبغي ان تُرفَع الجدران عليهِ ثم ينصبون تلك الحزم و يشدّون بينها بالحبال و يسقفون عليها بمثل ذلك ثم يقرمدون الجدران والسقف بالطين . ولا يكون للكنيسة الّا نافذتان و باب والباب لا يكون الّا من جهة الجنوب ليستقبل الداخل نجم القطب القائم تحتهُ عرش أواثار على ما تقدم ذكر ذلك وهو قِبلتهم ابدًا . ومساحة الكنيسة لا تكون اكثر من سبع اذرع طولاً في ستٍّ عرضاً . واذا تم بنـآؤها جعلوا بجانبها حوضاً يجرون اليهِ شيئاً من ماء النهر في قناةٍ يحفرونها بحيث يكون الحوض دائماً مملوءًا

واما التقديس فيتمّ على ايدي اربعة قسوس في الاقلّ وشمّاس فيعمد القسوس بعضهم بعضاً في النهر ويعمدون الشمّاس معهم ثم يدخلون الكنيسة ومعهم رَحًى وحمامة وشيءٌ من الفحم والحنطة المغسولة والسمسم المنقَّى . فيشرع الشماس في طحن الحنطة ويوقد القسوس الفحم ويستخرجون دهن السمسم ويجعلونهُ في قارورة . ومتى تمّ طحن الحنطة يأخذون طائفةً من الدقيق ويعجنونها بالمآء ويصنعون منها ستين قرصاً صغيرًا وينضجونها على النار ثم يذبحون الحمامة ويُصَفّون دمها في قدح — والحمامة عندهم رمزٌ الى موروذّر بوتو يزعمون انهُ امرهم بذبحها في مثل ذلك الوقت واخذ دمها ليكون لهم بهِ نوعٌ من الاشتراك السرّي تذكارًا لهُ — . فاذا بردت الاقراص صلى القسوس عليها وقطروا في اثنآء صلواتهم على كل واحدٍ منها اربع قطراتٍ من زيت السمسم ومثلها من دم الحمامة يُسقطونها على هيئة صليب وبعد ذلك يصافح القسوس والشماس بعضهم بعضاً بالأيدي مصافحة سلام ثم يخرجون ويغلقون باب الكنيسة . وهذا الاحتفال يستمرّ من لدن الصباح الى الظهر . وفي اليوم الثاني يعودون فيصنعون ما صنعوهُ بالامس ما خلا امر الدقيق والزيت والدم وكذا فيما يلي من الايام الى الخامس وهو آخر ايام العيد وحينئذٍ يتم تقديس المكان فيأخذون الحمامة ويدفنونها في ارض الكنيسة ويجمعون الثلاث مئة قرص المقدسة وهي التي صنعوها في الايام الخمسة فيجعلونها في انآء يسدّونهُ سدًّا محكماً ويحفظونها في الكنيسة الى حين الاستعمال

ستأتي البقية



اللغة والعصر

(تابع لما فى الجزء السابق)

ومهما يكن من امر هذا المجتمع فقد مضى على وجههِ ودرجت بعدهُ الايام ودبّت الليالي والحاجة في مكانها والرغبات متطالّة والخواطر هائمة والاقلام جافّة واللغة على ما كان من عهدها لم تستغنِ بتلك الكلمات العشرين ولا وُجِد بعد ذلك من أجرَى لها ذكرًا ولا أخطَر للنظر في امرها فكرًا فكأن ذلك المجتمع انما عُقِد لتثبيط العزائم عن نهضتها وقطع آخر عرق من الامل وكأن اربابهُ نفرٌ من الاطبّاء اجتمعوا للائتمار على عليل فكان قُصارَى ما في طبهم أن قضوا باليأس منهُ ثم خرجوا وهم يقولون عظّم الله اجركم في الفقيد

فبقي الآن إمّا ان نُسجِل بموت اللغة وموت الآمال معها واليأس إحدى الغنيمتين وامّا ان نستأنف العزم ونجدّد السعي في احياء ما اندثر منها وتدارُك ما طرأ عليها من الثُلَم وهو ما لا تزال الآمال فيهِ منوطةً بهمم رجال هذا القطر ان نَشِطوا لهُ وتفرغوا للاشتغال بهِ وتنبهوا لمكان اللغة من الأُمّة وأنها هي عنوانها والفصل الذي تتميّز بهِ من سائر الأُمم بل اللغة هي الأُمّة بعينها فكما تشخّص تاريخها وعلومها وعاداتها وعباداتها فانها تشخص الأُمّة بنفسها وبها يشار اليها ويُدَلّ عليها وذلك فضلًا عن أنها هي مجمع أُلفتها والوُصلة الحسيّة بين آحادها وجماعاتها فهي علّة الضمّ الحقيقية بينها والجامعة الطبيعية التي بها يستتبّ معنى المدنيّة واذا تفطنتَ للمراد من قولهم الانسان مدنيٌّ بالطبع شفّ لك عن حقيقة هذا القول وتبيّنت موضع اللغة من الحالة الاجتماعية . واعتبر ذلك في الأُمم الاوربية لهذا العهد فانها على اتحاد اكثرها في النِحلة الدينية وما

يصل بينها من لحمة النسب انما تتميز الجنسية عندها باللغة وهي الفصل الفارق بين أُمةٍ وأُمّة وعليها مدار الوحدة الوطنية وصيانة المصلحة الأُمّية وما لم تتحد الأُمّتان منها في اللغة لا يُؤمَن انتقاض احداهما على الاخرى ولو اتحدت بينهما المصلحة الوطنية والجامعة السياسية . بل انظر الى الناطقين بلساننا العربيّ فانهم على تباينهم في الأنساب والأديان والعوائد الى ما لا تجد لهُ مثيلاً في العالم كلهِ وعلى ما بينهم من اختلاف الحال السياسية وتفاوت المصالح الذاتية وتضافر دواعي الشقاق والافتراق لم تثبت لهم جامعةٌ ينضمون بها ويتألفون حولها سوى اللغة حتى لقد تجد من الدخلاَء فيها من هو اشدّ اعتصاماً بها ومحافظةً عليها ممن ورثها عن أوّليتهِ وانتهت اليهِ عن غير كلالة

بل عندنا اليوم ما هو ابلغ من ذلك وهو ما نراهُ من كثير من فتياننا الذين يتلقّون العلم في المدارس الاجنبية فانك تجد كل فريق منهم قد أُشرِب الميل الى الأُمة التي يدرس في لسانها فمن تعلم في المدارس الانكليزية مثلاً خرج ميلهُ انكليزيًّا وكذا من درس في المدارس الفرنسوية او الطليانية او غيرها حتى تراهُ يباهي برجال تلك الأُمة ويتبجح باخبار ملوكها وكبرآئها وفضائل اهل العلم والشعر منها ويقتبس كثيرًا من اخلاقها وعاداتها ويتشبه بمشاهير اهلها ومن يقع في نفسهِ منها موقعاً وربما أُشرِب عقائد بعض علمآئها وفلاسفتها الى غير ذلك مما لا تكاد تفرقهُ فيهِ عن احد افرادها بل ربما بلغ من بعضهم ان ينزع الى اللحاق بجنسيّتها والانتظام في عداد آحادها فيطلب مشاركتها في الوحدة الحسيّة بعد الوحدة المعنوية وهو نهاية ما يمكن تصوُّرهُ من الشواهد في هذا الباب

وهذا الامر مما تنبهت لهُ الامم الفاتحة من قديم واتخذتهُ قاعدةً تجري عليها في تقرير فتوحها وتوثيق سلطانها واتقاَء سَورة المغلوبين اذا حزبهم من

ناحيتها ظلمٌ او سامتهم شيئًا من ضروب الخسف وحسبُنا شاهدًا عليهِ ما هو جارٍ ليومنا هذا في الجزائر وتونس من البلاد العربية حيث أُهمل تعليم اللسان العربيّ في المكاتب الا بمقدار ما يتُوصّل بهِ الى تلاوة القرآن وجُعِل كل ما سوى ذلك باللغة الفرنسوية حتى كادت العربية تُتناسى في تلك الاقطار ولم يبقَ منها الا ما يتداولهُ العامة من اللفظ المبذوء والكلام السوقيّ وغابت عنهم محاسنها وعلومها وتواريخها وآدابها وعلى الجملة فانها صارت عندهم امرًا تافهًا لا معنى لهُ ولا رغبة فيهِ وهي سائرةٌ في طريق الاضمحلال بما تغلّب عليها من العجمة وشيوعها على ألسنة اهل البلاد وذلك فضلاً عما يبهرهم كل يومٍ من اقتدار الفاتحين وما يرون من آثار سطوتهم ونفوذ شوكتهم وضخامة ملكهم وما لهم من ضروب التفنن في العلم والاختراع مما تتعاظمهُ نفوسهم يومًا بعد يوم وعن قليلٍ ستصبح هذه اللغة عندهم كأن لم تَغنَ بالأمس ولم تكن شيئًا مذكورًا . ولذلك كان من اوجب الواجب في المحافظة على بقآء الأُمّة وصيانة الجنسية بينها احيآء لغتها بين عامة اهلها وتكثير سواد اهل العلم منها والتجافي بها ما امكن عن لغات الاعاجم الّا الخاصّة الذين عليهم المعوّل في نقل علومهم الينا ونشرها بلغتنا بحيث نلحق بهم في الحضارة دون الجنسية . وهذا انما يتمّ اليوم بأن تنهض الأُمّة بنفسها لهذا الامر الخطير ويتجرّد لهُ عقلآء سراتها واهل العلم فيها لا يتكلون في ذلك الّا على انفسهم ولا يصدرون الّا عن عزائمهم والّا فان استنامتهم الى من سُلّم اليهم قياد العلم وتهذيب الأُمة في القطر لا يُعَدّ الا ضربًا من التغرير بمصلحتهم والإِعانة على اضمحلالهم وما ظنك بقومٍ بعضهم مغلوبٌ لسيطرة الاجنبيّ يعمل بما يُوعَز اليهِ لا بما يراهُ وبعضهم منقادٌ لسلطان التعصّب وهو هادمٌ لأركان العلم من قواعدها ذاهبٌ برسوم الجنسية من اصلها مُغرِقٌ لهذه الشِرذِمة الباقية

في لجٍّ لا يُعرَف له دَرَكٌ ولا ساحل و بعضهم مقيمٌ في ظلال الجهل والأُمّية لا يميز الأَلِف من الرآء ولا التآء من اليآء . . . ثم ليعلموا أن العاملين اللذين يتنازعان الأُمة لهذا الوقت لكليهما وجهةٌ واحدة يلتقيان عندها وان اختلف طريقهما وغرضٌ واحد يرميان اليهِ وان تباين موقفهما ألا وهو استئصال أَرُومة الجنسية والذهاب بآثار الوطنية فان استيقظوا لما أُرصِد لهم و بادروا الامر قبل موقعهِ والاّ فهذه لغتهم عن قليلٍ ستسقط من عالم الأقلام وتُستبدَل برطانةٍ العجمية بل تصبح ألسنتهم اشبه بألسنة اصحاب الصَرْح وأشراطُ الامر باديةٌ من الآن فليعتبروها واذا مضى على هذا زمنٌ يسير بقيت اللغة محصورةً في المساجد والمحاكم الشرعية ولم تجدها في المحادثات اليومية الاّ على ألسنة اقوامٍ من الفلاّحين واهل البادية لا يُطلَق اسم العربيّ الاّ على شراذم من اولئك وبئس الخَلَف

وقد اطلنا في هذا المعنى حتى كدنا نخرج عن المقصود وما نحن في شيء مما انسقنا اليهِ في هذا الموضع ولاهو من اغراض هذه المجلّة وانما اوردنا ما اوردناهُ متابعةً لمقتضى البحث وايضاحاً لما توخّيناهُ من بيان خطر اللغة في الأُمة ومنزلتها من الجامعة الجنسيّة والحديث ذو شجون ولذلك نترك بقية هذا المطلب لرصفآئنا من اصحاب الجرائد السياسية يوفّونهُ حقّهُ من القول و يستنهضون الأُمة للعمل بهِ ان شآءت اذ هو من خصائصها وهمها ونعود الى ما كنا فيهِ من الكلام على اللغة واستئناف الوضع فيها سدًّا لما طرأ عليها مِن مواضع الخلل وهو ولا ريب من أخشن المباحث مركبًا وأبعدها مطلبًا وأغمضها آثارًا وأخفاها منارًا ومما لا يفي بهِ ما عندنا من المادّة التافهة والعلم النَزْر ولكنّا سنجعل البحث فيهِ ذريعة الى ما نتوقعهُ من اقلام أئمة العلم في هذا العصر والله سبحانهُ وليّ الاعانة والتوفيق ستأتي البقية

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

فصل
في الرياضة

اما رياضة الجسم فهي من اشدّ الاشياء ضرورةً لنموّ الولد ولاسيما اذا دخل الكتّاب وصار يقضي فيهِ بضع ساعاتٍ من النهار مُكبًّا على الدرس اكبابًا لا يتأتى لهُ معهُ ان يبرح مكانهُ كلما اراد . فلذلك ينبغي ان يتخلل ساعات الدرس فَتَرات متعددة يقضيها الاولاد بالرياضة واللعب كما يجب على المعلّم ان يُعدَّ لهم او يضع بين ايديهم ما يستلفت انظارهم من فنون اللعب الذي يقتضي الحركة ومجانبة السكون حتى يلعبوا فتمرن بذلك ابدانهم في لين معاطف و يشتدّ عضلهم وتصلب اعضآؤهم من غير جُسْأَةٍ . ولكن يجب عليهِ ايضًا ان يتفادى من اكراههم على صنفٍ من اللعب لا يحبّونهُ ومن صدّهم عن صنفٍ يحبّونهُ لان انفع اللعب لهم ما يمتعهم وما يلعبونهُ من تلقآء انفسهم ويجدون فيهِ لذة وسرورًا . وفائدة الرياضة كلها قائمةٌ في هذا الامر وهو ان يلعب الاولاد اللعب الذي يغتبطون بهِ ويخترعونهُ او يختارونهُ هم لانفسهم لا اللعب الذي يقترح عليهم . وهذا بديهيٌّ لانهم ان أُكرهوا على صنفٍ من اللعب لا يحبونهُ ولا يمتعهم لم يجدوا فيهِ لذةً ولا لهوًا بل كان لهم بمنزلة مداومةٍ للدرس من غير انقطاع ولا فترةٍ فتفوت بذلك النكتة المرادة منهُ وهي اعفآؤهم من الدرس برهةً لراحة اذهانهم وترويح نفوسهم وشرح صدورهم . وزد على ذلك ان اللعب بمنزلة جائزةٍ لهم ينالونها على ما قاسوهُ من المضض في اكبابهم على القرآءة

والكتابة والدرس فكلما كانت تلك الجائزة احبَّ اليهم كانوا على اكتسابها احرص

ومن صنوف الرياضة التي تحسن آثارها فيهم لا في صباهم فقط بل في شبيبتهم ايضاً الرقص والسباحة والتمشي الى الارياف والمنازه في الايّام المصحية وكذلك ركوب الخيل والتزاوف وهو شيءٌ مما يفعلهُ البلهوان

ثم انهُ من البغي ان يزجرهم عريفهم او معلمهم عن الضجيج والضوضاء والطقطقة والقهقهة اثناء اللعب بحجّة انهُ يشمئزّ من ذلك فان هذه افعالٌ طبيعية لهم وتترتب على لعبهم فلا اظلم ممن يردعهم عنها فراراً من احتمال مشقةٍ يسيرةٍ بسببها

وكذلك يحسن ان يشركهم عريفهم في اللعب ترغيباً لهم فيهِ وتجرئةً لهم عليهِ لانهُ ان اعتزل اللعب معهم شعروا بانهُ رقيب عليهم لاغير فمقتوهُ لان كل رقيبٍ ممقوت بغيض

ويحسن ايضاً ان يكون لعبهم على رهنٍ او جائزةٍ زهيدةٍ من نحو كتابٍ او غيرهِ ينالها في ختام السنة من كان ابرعهم في فنون اللعب لان ذلك يرغّبهم في هذا الضرب من الرياضة ويحملهم على المغايرة وينشطهم على المباراة فتحسن آثار ذلك فيهم اذا شبّوا لانهم يعتادون بهِ المغالبة التي لابدّ منها في هذه الدنيا لدفع المضارّ واجتلاب المنافع

المطلب الرابع

في التربية الذهنية

الفرق بين التعليم والتربية ان ذاك قائمٌ بتلقينك الولد شيئاً من المعارف بمقدار ما يتسع لهُ ذهنهُ بالنظر الى سنّهِ ومزاجهِ وتلك قائمةٌ بارهافك ذهنهُ شيئاً فشيئاً ليتهيّأ ويتّسع لقبول ما ستُلقيهِ اليهِ من تلك المعارف . والتعليم خاصٌّ لانهُ مقصورٌ على امداد قريحة الولد بما يلائمها من موادّ المعارف الانسانية اما

التربية فعامّة لانها تتناول ما فيه انمآء بدنه وتقويم سيرته وتهذيب اخلاقه فضلاً عن ارهاف ذهنه . وكل مَن ربيّته فقد علمته شيئًا او اخرجتَ من القوة الى الفعل ما كان كامنًا في فطرته من القوى العقلية وايقظت ما كان من ذلك راقدًا في سجيّته ولكن ليس كل من علمته شيئًا فقد ربيّته . فان قلنا هذا غلامٌ حسن التربية فقد وصفناه ايضًا بان له المامًا بشيء من المعارف ولكن ان قلنا هذا غلامٌ له المامٌ بشيء من المعارف لم ينتج من ذلك بحكم الضرورة انه حسن التربية ايضًا فالتعليم اذًا فرعٌ من التربية وذريعةٌ من ذرائعها لا التربية كلها كما يذهب اليه بعض الناس

والتربية باطلاق اللفظ اي التربية العامّة التامّة هي عملٌ عظيم مهمٌّ متعدّد الاساليب متنوّع الكيفيات متفاوت السِّيَر والادوار مختلف الاعراض الاّ ان جوهره واحدٌ كما ان غايته واحدةٌ وهي اعانة الطبيعة على انمآء بدن الولد وتنوير ذهنه وتقويم سيرته وتهذيب اخلاقه وكل ذلك بقدر الاستطاعة وعلى الوجه الاصلح له فيما سيصير اليه والاصلح للجمهور ايضًا . وهذه الغاية يدركها المربي سوآءٌ كان ابًا او امًّا او معلّمًا او استاذًا بذرائع متعددة قد ارتبط بعضها ببعضٍ لابراز فعلها ارتباط بعض دواليب الساعة ببعضٍ حتى اصبحت ولا غنى لاحداها عن الاخرى

فذرائع تربية البدن قد تقدم منها في موضعه ما يغنينا عن تكراره هنا اما ذرائع تنوير الذهن فمن اهمها ما نحن بصدده من التعليم . الاّ ان هذا التعليم ينبغي ان يُبتدأ فيه بالاشيآء اي بتفهيم الولد معاني الاشيآء التي تقع تحت حواسّه وتفسيرها له بالصوت الحيّ اي بالتلقين الشفاهي وبمجاوبة الاسئلة التي لا ينتتر عن طرحها بالاشارة او باللسان لان طلب التعلم غريزيٌّ قد فُطِر عليه

الاولاد كافةً . انظر الى هذا الطفل وهو بعدُ في مهدهِ فان تحديقهُ النظر في كل غريبٍ يدنو منهُ وتناولهُ كل ما تقع عليهِ يدهُ ليحملهُ الى فمهِ ويعضّ عليهِ كل ذلك استفهامٌ غريزيٌّ ورغبةٌ طبيعيةٌ في الاستطلاع بها يبتدئ تنوُّر عقلهِ فيشرع في ادراك المدركات وتفهمها بالاختبار والامتحان من تلقآء نفسهِ وعلى قدر استطاعتهِ وهذا اكثر انواع التعليم والتعلّم فائدةً . وانظر ايضاً الى هذا الصغير اذا ذهبت بهِ امّهُ او ظئرهُ او حاضنتهُ الى البستان او احد المنازه فانهُ قلّما يقطف زهرةً او يصطاد فراشةً او يلتقط حصاةً الّا جآء بها الى مَن يكون معهُ وفي بريق عينيهِ وتهلل وجههِ دليلٌ لا على اغتباطهِ بما وجد فقط بل على رغبتهِ ايضاً في معرفة شيء من امرهِ يطلب ذلك تارةً بالاشارة والتلميح وتارةً بالتصريح بقولهِ لماذا وماذا وما جرى هذا المجرى من الاسئلة التي لا يكاد يفتر عن طرحها علينا ولا نكاد نحن نفتر عن زجرهِ عنها محتجّين انهُ لا يليق بمن كان في سنّهِ ان يكون فضوليًا متطالاً حتى اننا اذا جاوبناهُ عليها فكثيرًا ما نجعل جوابنا قليل الفائدة او مخالفاً للحقيقة وذلك اما جهلاً او كسلاً او لعلةٍ اخرى . وقد مرّ بك ان التربية غايتها ان تؤهل الانسان منذ حداثة سنهِ لان يكون رجلاً بالحق اذا شبَّ وهذا يقتضي من المربي كائناً من كان ان يُعنى باعانة الطبيعة على انمآء ذهن الولد وتقويتهِ عناية الزارع بالزرع وعناية الكرّام بالكرمة فكما ان الزارع يتعهد الزرع ويقتلع ما ينبت في خلالهِ من شوكٍ يخنقهُ وزؤانٍ يفسدهُ وكما ان الكرّام لا يترك الكرمة لشأنها بل يتعهدها بالتقضيب والتعريش والسقي فكذلك يجب على المربي ان يحرص على تقوية ذهن الولد وارهافهِ وتهيئتهِ لما سيُلقى اليهِ من المعارف وما سيُلقّنهُ من التهذيب لان التربية انمآء وتقويةٌ لا لبدنه فقط بل لذهنهِ ايضاً الّا انها ينبغي ان تكون في امر

الذهن كما هي في امر البدن اي رويدًا رويدًا وبحسب ترتيب الطبيعة وتبعاً لمجراها لا ابتسارًا ولا قسرًا لان كل ما ابتسرتهُ او انميتهُ قسرًا او لم تقوِّهِ لابراز الثمار التي تحبّ ان يبرزها فقد انميتهُ عبثًا وعرَّضتهُ لوشيك الذبول واليبس لمخالفتك فيهِ مجرى الطبيعة وكنت فيهِ كالذي يستنبت شجرةً لا في ارضٍ طيّبةٍ بل في بيتٍ من الزجاج ويغذوها سمادًا كيماويًّا ويسقيها ماءَ العقاقير لا ماءً طبيعيًّا من مطر الغمام او ندى الاسحار ويحماها على سرعة النموّ بحرارة النار او البخار لا باشعة الشّمس والهواء الطيّب ثم يطمع في ان تثمر ثمرًا صالحاً زكيًا لكنها قلما تثمر وان فعلت فثمرها يكون في الغالب تفهًا لا يستلذهُ احدٌ ثم انها وان سمقت اغصانها تبقى ضعيفةً قلقةً لان اصولها غير راسخةٍ في ارضٍ تلائمها فاذا زُعزعت ايسر زعزعةٍ انقلعت

وهذا الضرب من الانماء الابتساري القسريّ لاذهان الاولاد هو عين ما نراهُ في بلادنا بل في غيرها من البلاد ايضاً فما اكثر المدارس عندنا ولكن ما اقلّ نفعها وانما قل نفعها لان القيّمين عليها لا يلتفتون الى تربية الاولاد فيها بحسبما سنّت الطبيعة ولا يراعون في ذلك ما تقتضيهِ الحال بل بحسب زعمهم او وهمهم او بحسب ما تحدوهم اليهِ مصلحتهم او ما يحدوهم اليهِ زهوهم وزهو الوالدين ايضاً فيحشون رأس الولد قواعد علومٍ لا تلائم طبعهُ ولا توافق ميلهُ واستعدادهُ ولا تناسب سنّهُ وطبقة اهلهِ ولا يفهمها هو نفسهُ لانهم لم يرشحوهُ لها من قبل ذلك فالولد الذي يربّونهُ هكذا يصبح وهو ابن اربع عشرة سنةً اعجوبة زمانهِ ونابغة عصرهِ حفظًا لانواع البديع وابيات الالفيّة واسماء بحور الشعر واصناف الزحاف واصطلاحات المناطقة لكنهُ يبقى طول عمرهِ مائقًا مغفّلاً بليدًا ان استكتبتهُ بضعة اسطرٍ شحنها تسجيعًا وتجنيساً لكنهُ لحن فيها مرارًا باعتبار اللفظ واخطأ

المرمى باعتبار المعنى وان استنشدتهُ بيتاً لم يُتم وزنهُ وان غالطتهُ بقياسٍ سوفسطائي لم يدرِ من اين دخلت عليهِ المغالطة

وانما كانت هذه حالة اكثر الاولاد في بلادنا لاننا نتوهم ان تربيتهم قائمةٌ بمجرّد تدريسهم بعض قواعد العلوم فنُكرههم على تعلمها والأَولى ان نقول على تحفُّظها غيباً وهم في سنٍّ لا تصلح لها وطبعٍ ينفر منها ومن قبل ان نهيّئهم لادراك مغزاها بالذرائع العملية البديهية اي بتنوير اذهانهم اولاً وتقويتها شيئاً فشيئاً وذلك بالخطاب قبل الكتاب حتى يترشحوا لقبول الدروس التي ستُلقى عليهم بعد ذلك فيتفهّمونها ويتشرّبونها ويطبّقون احكامها الكلية على ما يجري كل يوم على مسمعٍ منهم ومرأى من الاحوال والحوادث الجزئية ويكونون الى تحقّق صحة تلك الاحكام اسرع لانهم تيقنوا انطباقها على الجزئيات التي لابسوها واختبروها بانفسهم من قبل . اما القواعد التي نحملهم على تحفّظها غيباً ومن غير فهمٍ عمليّ لمعانيها فتكون عندهم من قبيل الالغاز والاحاجي ويصير مثلهم فيها كمثل الحمار يحمل اسفارًا ولا تستقرّ في ذاكرتهم الاّ حيناً ثم ينسونها بتةً

وما اكثر تبجحنا اذا ختم الولد منا دروسهُ هذه ونال الشهادة او حاز الاجازة من الفاحصين وما اشدّ مباهاتنا بما يسردهُ يومئذٍ علينا وعلى اصدقائنا من جُملٍ مطنطنةٍ لا يدري معناها ومن قواعد عويصة لا يقدر ان يبني عليها شيئاً اذا مست الحاجة . مساكين الاولاد الذين هذه حالهم فهم ينشؤون وينمون ولكن تفوتهم التربية الحقيقية اي الذهن المخرَّج والفهم المنبَّه والعقل المستنير وغير ذلك من صفات الذكاء التي بها لا بسواها يمكنهم ان يتعلموا كل ما يصلح لهم وما يؤهلهم لان يكونوا رجالاً

ستأتي البقية

الاحلام

الحلم عبارة عما يحدث في النوم من تمثل صورة عقلية ليس بينها تناسب تتولد من تنبه بعض اجزآء الدماغ وهو ملازم لكل انسان في جميع اطوار الحياة فلا يكون نوم بدون حلم . وذلك ان الدماغ مؤلف من شطرين ايمن وايسر يشتمل كلٌّ منهما على اجزآء كل جزء منها يقابل مثلهُ في الشطر الآخر في شكلهِ وبنائهِ وعملهِ . وقد ثبت الآن ان لكل جزء من اجزآء الدماغ عملاً خاصًا يستقلّ بهِ مع ما بينها من الاتصال لان الالياف العصبية تتقاطع في اتجاهها الى حيث تنتهي على كيفية تُعرَف من علم التشريح فيحدث اشتراك في صدور الاحداث العقلية او ورودها غايتهُ التكافل لقيام المنفعة العامة كما يتضح ذلك من علم منافع الاعضآء . ولا يخفى ان كل عضو يعمل عملاً يهلك من دقائقهِ شيء يعادل قوة العمل ومدتهُ فيحتاج الى الراحة والسكون للتعويض عما خسرهُ وهذه الراحة تتفاوت بالنظر الى الاعضآء من حيث لزومها وشدة الحاجة اليها فتكون في القلب عبارة عن الفترة بين نبضاتهِ وتقع في الدماغ على هيئة النوم والسبات . فاذا كان النوم كاملاً مستوفيًا شروط الصحة استراحت الاجزآء المؤلف منها الدماغ كلها فلا تحدث حينئذٍ الاحلام وذلك في رأي كثير من المحققين ممتنع لان اجزآء الدماغ لا تعمل كلها ولا تستريح كلها دفعة واحدة بل لا بد ان يبقى بعضها مستيقظًا مدة النوم يتنبه بما يطرأُ عليهِ من المؤثرات سوآء كانت ظاهرة او باطنة ولذلك كانت الاحلام مستمرة الحدوث ولو لم يتذكرها الانسان دائمًا لضعف الاثر الباقي عنها في المخيلة فهي سريعة الزوال واقرب الى النسيان

والاحلام من حيث منشأها على نوعين الاول ما يحدث عن تنبه في

الخارج يُنقَل بالاعصاب الى الدماغ فتحدث ثم خيالات يهيئها الاستعداد الخصوصي بحيث تتألف منها صورة عقلية لا تنطبق على الاثر الحادث في الخارج لان النائم لا يدرك ماهية المؤثر كما يدركهُ المستيقظ . والثاني ما يحدث عن تنبه في الباطن يتهيأُ بهِ تجمُّع الصور الذهنية في محلها من الدماغ على كيفية يترتب عليها تخيُّل امورٍ انطبعت من قبل في الذاكرة . وبينهما رتبة متوسطة تحدث فيها الاحلام بالايهام كأن يُوهَمَ النائم امرًا فيحلم بهِ واكثر ما يكون ذلك في طور الانتقال من النوم الى اليقظة

ومن تأمل في ما يعرض للانسان اثناءَ تفكرهِ وانهماكهِ بامرٍ مهمّ من انتقال الفكر فجاة الى تذكر شيءٍ ليس لهُ علاقةٌ بالحالة التي هو فيها لم يفتهُ ادراك ما يحدث في النوم من مثل ذلك حيث تبدو صور الاشياءِ في اجزاءِ الدماغ غير الواقع عليها السكون اما فجأةً لتنبهٍ داخلي او منقولةً عن طريق الحواس لتنبهٍ خارجي وهو الغالب فيها . وقد تقدم آنفًا ان اثر التنبه المذكور لا ينطبق على حقيقة المؤثر ولكنهُ يختلف عما يكون عليهِ في حالة اليقظة من حيث القوة والضعف فقد يكون التأثير قويًّا ولو كان المؤثر ضعيفًا . ولما كانت اجزاءُ الدماغ مرتبطةً بعضها ببعض مع استقلال كل منها بعملهِ لتقاطع الالياف العصبية كما تقدم وكانت القوى العقلية المتصرفة بحقائق الامور غير عاملة في النوم ترتب على ذلك حدوث صور غريبة متنافرة مختلفة في الشدة والخفة فاذا أُدنيت من جفن النائم مصباحًا يحلم بحدوث حريقة او بوميض البرق وقصف الرعد وانقضاض الصواعق واذا قربت من انفهِ قارورة طيب يحلم انهُ على وشك الاختناق وانهُ يستروح رائحة النتن والقذر او يستنشق رائحة لا مثيل لها في المشمومات واذا نضحتهُ بنضحةٍ ماءٍ لطيفة حلم بانهمار القطر

ومن غرائب ما يحدث في الحلم خداع الحس وهو ان يرى النائم نفسهُ في غير حالتهِ الطبيعية كأن يحلم برجوعهِ فتى عاد الى المدرسة يدرس العلم ويتهيأ للفحص ثم يقف امام اساتذته ليفحصوهُ فهم يطارحونهُ الاسئلة وهو يوضح المسائل ويحل المشاكل الى غير ذلك مما يُثبت لنفسهِ البراعة والفضل . ومنها تغيُّر الشخصية وهو ان يرى النائم نفسهُ غير ذلك الصانع الحقير مثلاً وانما هو ذلك الملك الخطير بعينهِ يتسلط على امتهِ ويتحكم في رعيتهِ وكان احد ضباط الالمان يُعجَب ببسالة انيبال فحلم انهُ استحال الى هذا البطل وانهُ يعبّئ الصفوف ويرتب الجيوش ويهاجم الاعدآء بصفة كونه اياهُ

ومن الثابت ان مدة الحلم قصيرة على ان ما يقع فيها من المشاهد والمواقع التي تستغرق الزمن الطويل امرٌ يفضي الى العجب فربما حلم الانسان في بضع ثوانٍ بمواقع لا تتم في اقلّ من عدة سنين لو كانت حقيقية والامثلة على ذلك كثيرة يستطيع كل انسان ان يتحققها بنفسهِ فلا نطيل الكلام عليها

ومما يستطيع كل انسان ان يتحققهُ بنفسهِ الحلم بامرٍ ذي بالٍ مما كَثُرَ التفكر بهِ لبقآء اثرهِ في الدماغ فاذا فقد احد عزيزًا عليهِ لا يزال يحلم بهِ كلما عنَّ لهُ ذكرهُ ومن ذلك الحلم بما يميل اليهِ طبعهُ فالعاشق لا يعتريهِ الوسن الاَّ بجفنهِ طيف حبيبهِ والشجاع يحلم بانهُ يصارع الابطال ويصرع الاقيال ويصول في حومة القتال والخطيب يرى نفسهُ وهو على منبر الخطابة يقرع الاسماع بزواجر وعظهِ ويخلب الالباب بجواهر لفظهِ وكلما تخيَّل انهم يضجون باستحسان كلامهِ ازداد عجبًا بنفسهِ فزاد في نثرهِ ونظامهِ وبعض اذكيآء العقول يحلمون بما اشتغلت بهِ افكارهم في النهار واعضل عليهم حلهُ فينكشف لهم في الحلم سترهُ ويظهر سرّهُ وقد استعظم كتبة الافرنج ما نظمهُ شاعرهم ولتر من

القصائد في نومهِ ولشاعرنا الشهير الشيخ ناصيف اليازجي رحمهُ الله ابياتٌ نظمها في نومهِ حين كان في مرضهِ الاخير وقد حلم نفسهُ في سن الصبوة وانهُ كان يدرس العلم على احد مشايخ الازهر فقال يهنئهُ بعيد الفطر

هلالُ شوّال في ذا العيد حيّاكا والأُفق حيّاهُ بدرٌ من محيّاكا
يا ايها الشيخ انت البحر في ادبٍ ونحن سحبٌ رواها فضل سُقياكا
انا الفقير بعلمٍ جئت اطلبهُ والله في العلم بين الناس اغناكا
لا زلت تقطع اعيادًا وازمنةً تمضي بخيرٍ وعين الله ترعاكا

ومما يجدر ذكرهُ في هذا المقام الحركات التي يبديها النائم وهو يحلم بامرٍ فاذا حلم الانسان بامر مفرح ظهر على وجههِ الانبساط والابتسام وشوهدت امرأة تحرك فمها وهي نائمة حركات تشبه النفخ فلما استيقظت اخبرت انها حلمت بانها اطفأت مصباحًا . وكثيرًا ما يسمع النائم يتكلم في نومهِ فقد ذكر عن كثيرين انهم كانوا يفشون اسرارهم في نومهم . وكثيرون يجاوبون على الاسئلة التي يُسألون عنها وهم نيام . و بعض الاولاد يتكلمون مع امهاتهم وهم نيام وربما خاطبت الحليلة زوجها في النوم حتى قد يحمَل النائم على اذاعة سرهِ بان يُجارَى على افكارهِ متى بدأ بالاخبار عن امرٍ عرض لهُ فيمكن التدخل في وجدانهِ . ومن هذا القبيل ما حكاهُ الدكتور مُلّ من برلين وهو ان امرأة حلمت بانها تتكلم مع خليل لها ذكرت اسمهُ على مسمع من زوجها فوعاهُ وتظاهر بانهُ هو ذلك الخليل الذي برّحها هواهُ واضناها جفاهُ وما زال يستكشف سرّها و يستطلع امرها حتى برح الخفاء وانكشف الغطاء على انهُ عند ما كان يخاطبها بصفة كونهِ زوجها لم تكن تردُّ عليهِ جوابًا

ومما ينبغي التنبه لهُ ما تحدثهُ الاحلام من الاثر بعد اليقظة فان الذي

يحلم بسماع طلق مدفع يبقى دويّهُ في اذنيهِ مدةً بعد ان يفيق من نومهِ والبعض
يشعرون بأثر الألم الذي حدث في الحلم وربما بقيت صورة الحلم في الذهن
بعد اليقظة كانها حادثة حقيقية وقد يبقى بعضهم مغموماً يومهُ لحلم مخيفٍ عرض
لهُ وبعد المرض تزداد علتهم اذا حلموا بها . وذكر بعضهم ان فتاةً حلمت بان
رجلاً يتتبَّعها وهي تهرب منهُ فبقيت تحلم بهِ عدة ليالٍ وجسمها يهزل وورد
خديها يذبل حتى اصابها شلل في الرجلين . ومن المقرر عند الاطبآء ان الأمراض
العقلية يدلُّ عليها خللٌ يظهر في الحلم اولاً وقال بعض المحققين ان الهذيان يبتدئ
في الحلم وعن اريسطو ان كثيرًا من الاعمال البشرية مبدأها الحلم والله اعلم

بيروت وجوّها

لحضرة الدكتور نجيب افندي بدورة في بيروت

تعريباً عن كتاب للمرحوم الدكتور بويّه فى الكلام على بيروت
واحوالها الصحية

لما كانت مدينة بيروت خصوصاً وقطر سوريا عموماً محطّ رحال المصريين
في الصيف ومطمح انظار الاوربيين في سياحاتهم لما هو مشهور عنهما من
اعتدال الحرارة ورطوبة الهوآء وعذوبة المآء رأينا ان نأتي بلمحةٍ عن احوالهما
الجوّية مقتصرين في ذلك على مدينة بيروت وضواحيها تاركين سائر انحاء
سوريا لعدم توفر وسائل البحث فيها

وملاحظاتنا هذه تشمل اربع سنوات متوالية من سنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٣
كانت في خلالها الاحوال الجوية متطابقة على غاية من الدقة والضبط ولذلك
لم نرَ من الواجب متابعة المراقبة في السنين التالية . وتمهيداً لبيان ذلك نقسم

الاحوال الجوية الى خمسة فصول . الاول في حرارة الجوّ . والثاني في الرياح . والثالث في الامطار . والرابع في الثقل الجويّ . والخامس في رطوبة الهوآء

***

فأمّا معدّل حرارة بيروت في مدة هذه السنين الاربع فهو ٢١،١° من المقياس المئوي (السنتغراد) خلافًا لما قال بعضهم من انهُ ٢٧° وهذا المعدل قلّما تباين في خلال السنين المذكورة فانهُ كان يختلف ما بين ٢٠،٩° — ٢١،٦°

وهذا الاعتدال في الحرارة ناشئٌ عن موقع بيروت الجغرافي ومركزها على شطّ البحر وكونها شبه جزيرة واسعة الارجآء متصلة بالجبال التي تكتنفها . وقد يتبادر الى الذهن ان هذا الاعتدال فيها يجعلها مفيدة لاصحاب العلل الشعبية والرئوية المزمنة كالاستهوآء الصدري والتدرّن الرئوي وما شاكل ذلك لكن الامر بالخلاف كما سنذكرهُ في الكلام عن الوبالة لان هوآء بيروت مضرٌّ جدًّا لاصحاب هذه العلل

وقد لاحظنا بغاية التدقيق ان الحرارة تتدرّج بنظامٍ تامّ حتى شهر ايار ومن ثم تثبت على ميزان واحد مدة اربعة او خمسة اشهر مع بعض اختلافات يسيرة فيبلغ معظمها حينئذٍ ٣٠ — ٣٢° ثم تأخذ في التنازل بتدريجٍ متتابعٍ وسريعٍ حتى تصل في معظم الشتآء الى ٥° فلا يُشاهَد ثمَّت لا ثلجٌ ولا جليدٌ الّا ان المطر قد يكون مصحوبًا ببَرَدٍ وهذا البَرَد يدوم عدة ساعات على الحضيض . واقلُّ تجليدٍ يؤثر في المساكن تأثيرًا مضرًّا لان الجدران رطبة كثيرة المسامّ

ولما كان ميزان الحرارة لا ينزل في بيروت عن ٥° كان يُشعَر فيها ببردٍ ليس بقارسٍ ولكنهُ رطبٌ غير مقبول يستلزم وجود مستدفا في المنزل واهمُّ غاية

هذا المستدفأ ان يزيل عن الثياب ومن الهوآء المحيط تلك الرطوبة التي هي على الجسم اثقل من الزئبق واحسن المستدفآت ما يشعل بالغاز فانهُ يفي بالغاية المقصودة ولا ينتج عنهُ ضررٌ يُذكر

وربيع بيروت هو على الغالب لطيفٌ مقبول واما الخريف فلا يخلو من حرارةٍ ولذلك نكون في اشد الاشتياق الى سقوط اول مطرٍ فانهُ يذهب بالحرّ الشديد ويوافق سقوطهُ غالبًا ١٤ ايلول ثمَّ يحدث حرٌّ عظيم تعقبهُ امطار الشتآء المتوالية كما ذكرنا آنفًا . اما قيظ الصيف فمما لا يطاق مع ان ميزان الحرارة لا يتجاوز ٣٢° لكن هذه الدرجة تدوم مدة اربعة اشهرٍ متوالية فتثقل وطأة الحرّ على الجسم فتذيبهُ وتضغط على الدم فتمصلهُ ويظهر على البشرة نفاطٌ يكاد يحرقها وتُنزل كثافة الجوّ على الاعصاب سباتًا فترخيها وتذهب بالنعاس عن الاجفان فتكسّرها وتُنزِلُ بسائر الاعضآء شللاً فتُحدِث في وظائفها خللاً ولهذا كان الهزال والفاقة الدموية (الأنيميا) وضعف شهوة الطعام من اهمّ نتائج الحرّ الشديد وافراز العرق الكثير . هذا في بيروت واما في الجبال التي يبلغ علوّها ٦٥٠ — ٧٠٠ متر عن سطح البحر فتتغيّر الاحوال الجوّية ويكون الليل ثمت رطبًا وباردًا والنوم مقوّيًا ومعوّضًا وشهوة الطعام جيدةً والحرُّ معتدلاً

***

واما الرياح فالمتسلطة منها الغربية وهي تمرّ على رمال رأس بيروت الجردآء وتحمل منها ما يزيد في الغبار فلو غُرِست تلك التلول الرملية شجرًا من الصنوبر او غيرهِ لردّت عن البيوت المجاورة الغبار والرمال وجعلت تلك البقاع محالّ نزهةٍ يؤمها السواد الاعظم من سكان بيروت واتت بمنافع مادية ايضاً

ويتلو الرياح الغربية في الهبوب الرياح الجنوبية وهي صالحة . ثم الشمالية

وهذه كثيرًا ما يعقبها النزلات المختلفة كالزكام والتهابات الحنجرة والشُعَب وما شاكل ذلك . اما الرياح الشرقية فليست بنادرة الهبوب في فصل الربيع والصيف وفي الجبال تكون اشدّ وهجًا منها في السواحل ومدّتها من ثلاثة الى اربعة ايام في اثنائها يتصاعد ميزان الحرارة الى ٣٣° في فصل الصيف . و بالجملة فان الرياح كيفما هبّت لا تشتدّ كثيرًا الّا في الشتآء فانها تتقدّم المطر بعدة ساعات ثم تهدأ عند سقوطهِ . اما الزوابع فحدوثها نادرٌ جدًّا

⁂

واما الامطار فان الفصل الذي تنزل فيهِ في بيروت بغاية الانتظام ولهذا تُقسَم السنة الى قسمين فاصلين احدهما فصل الحرّ الشديد وهو يستمرّ اربعة اشهر اي حزيران وتموز وآب وايلول . والآخر فصل الامطار وهو ما بقي من السنة . وفصل الامطار هذا يقسم الى قسمين آخرين احدهما مدة الامطار الخفيفة التي تحدث في فصل الربيع والخريف والثاني مدة الامطار السيلية وهي فصل الشتآء وهذا الفصل الاخير امطارهُ طوفانية تسقط بغتةً كالسيل وتحيل الطرق الى انهارٍ جارفةً جميع الاقذار التي على ممرّها الّا ان هذه الامطار لا تلبث طويلاً حتى ترى بعدها الشمس لامعةً في كبد سمآء زرقآء خالية من الغيوم

اما الضباب فلا اثر لهُ في بيروت لكنهُ كثير الحدوث في غور نهر الكلب وفي بكفيا و بالجملة في جميع الاماكن التي يبلغ علوّها ٨٥٠ مترًا عن سطح البحر وهذا الضباب يدوم ثابتًا مدة ساعات طوال وقد يشاهد ايضًا وذلك في اوائل شهر ايلول في الاماكن التي تعلو ٣٠٠ متر عن سطح البحر وما فوق هذا العلوّ يكون الجوُّ رائقًا والشمس حادّةً فلا اثر للضباب هناك ولا للغيوم

اما معدّل المطر السنوي فهو ٨٩٤،٤ مليمترًا[١] وهذا المقدار العظيم من المطر يتوزع على ايامٍ قلائل بحيث ان الجوّ يكون غالب الايام صافيًا والنور مشرقًا ومحصّل ما استُنتج من مراقبة السنين الاربع المذكورة ان سمآء بيروت تكون رائقةً مصحية مدة ١٩٨ يومًا في السنة ومتلبدة بالغيوم مدة ١١٩ يومًا وماطرة مدة ٤٨ يومًا

***

واما الثقل الجوّي في بيروت فدرجتهُ الاعتيادية في ميزان الجوّ اي البارومتر ٧٦٠ مليمترًا واما اذا هبّت الريح الشرقية فانهُ ينحطّ الى درجة ٧٤٠ — ٧٤٥ ثم يتصاعد بعد المطر

***

واما رطوبة الهوآء في بيروت فمع انها اقلّ منها في الاسكندرية فان البخار يتكاثف بعد غروب الشمس على الثياب والامتعة ويبلها وهذه الرطوبة تجعل بيروت غير موافقة لاصحاب العلل الشُعبية والرئوية فان هؤلآء تتعاظم علّتهم ويتفاقم دآؤهم وتعرض لهم نُوَبٌ من الربو قوية . وبعكس ذلك هوآء زحلة ودمشق والقاهرة فانهُ في غاية الجفاف والصلاحية للمصابين بهذه العلل . انتهى

المقامرة

يعتري خُلُق الانسان كثيرٌ من العلل كما يعتري بدنهُ كثيرٌ من الامراض لفسادٍ يطرأُ عليهِ فينحرف عن محجة الاستقامة كما ينحرف مزاج الانسان عن الاعتدال لفسادٍ يطرأ عليهِ ونتيجة ذلك الموت الادبي واذا كان فضل الطبيب

[١] عن تعديل البشير من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٩٢

عظيماً لاعتنائهِ بمعالجة الامراض التي تعتري بدن الانسان قصد شفائها ففضل الذي يعتني بصلاح الاخلاق قصد تقويم ما اختلَّ منها اعظم ونفعهُ اعمّ لان اصابة الاجسام بالامراض اقل خطرًا من اصابة الآداب ولقد احسن ابو الطيّب المتنبي حيث قال

يهون علينا ان تصاب جسومنا   وتسلم اعراضٌ لنا وعقولُ

ولما كان البحث في خلل الآداب من اهمّ ما تمسّ اليهِ حاجة البلاد رأينا ان نوسع لهُ مجالاً في هذه المجلة وآثرنا الآن الكلام على المقامرة وهي علة من شر العلل الوبيلة المستحوذة على الاخلاق تفشت في بلادنا وكثرت في هذه الايام ارزآؤها وعظمت خطوبها وعمَّ بلاؤُها على اننا لا نقتصر في ما نذكرهُ عنها على بيان الطرق التي تنجع في شفائها ولكننا نتحرى الاسباب التي تحمل عليها قصد ملافاتها قبل تمكنها واستحكامها شأن الطبيب الحاذق الذي لا يصف العلاج مجازفة قبل تحقق ماهية العلة واسبابها

ومعلوم ان لكل داءٍ دوآءً الا المقامرة فانها اعيت من يداويها وذلك لان الانسان يميل بالطبع الى اللهو على شغفهِ بتحصيل المال والثروة عفوًا فاذا لاح لهُ بارق الامل من خلال البخت والنصيب وكان في يدهِ ما يسعفهُ على اجابة سؤل النفس الامارة بالسوءِ ارتطم في هذه الورطة وسوآء ربح ام خسر فهو لا يزال مواظبًا على اللعب آملاً تعويض الخسارة او زيادة الربح حتى تصير المقامرة فيهِ ملكة راسخة متمكنة لا تقوى عليها نصائح الناصحين ونواهي الشرائع والدين فهي كالدآء العقام لا ينجع فيهِ دوآء حتى يقضي الله امرًا كان مفعولا

ولا مرآء في ان حالة الانسان في دنياهُ اشبه بحالة المقامر من حيث الاجتهاد في دفع مغرم او الطمع في جز مغنم فهو لا يزال بين عوامل اليأس

والامل وفواعل الاتفاق والنصيب ولكن شتان بين من يعمل عملاً مفيدًا ينتفع هو بهِ ويعود بالنفع على ابناَء جنسهِ وبين من يعمل لضرر نفسهِ وضرر قريبهِ فان العامل ان نجح عمله ُ سرَّ بهِ وان لم يفلح كان لهُ نوع من التعزية بانهُ قام بما يجب عليهِ خلافًا للمقامر الذي يخاطر بمالهِ طمعًا في الربح واعتمادًا على البخت فان ظفر والاّ رجع يعضّ انامله ُ اسفًا ولم يجد لنفسهِ في تلك المخاطرة عذرًا

والمقامرة انواع كثيرة مرجعها الى البخت والنصيب ومنها ما يكون فيهِ البخت والنصيب مقرونين بالحذق والمهارة ومنها ما يُقتصَر فيهِ على التحيُّل والغش ومنها صناعة النصب المعروفة بالبورصة وهي عبارة عن تغرير المشتري بثمنٍ نسيئةً الى اجلٍ مسمًّى يلتزم عند حلولهِ بدفع ما نقص من قيمة الشيء وهو ما سُمّي في اصطلاحهم بالتغطية . وهذه الصناعة قد برع فيها الاوربيون وملك زمامها المتمولون منهم يتصرفون في الاسعار بين هبوط وارتفاع على نحو ما يؤثرون ولما كان اهل بلادنا دونهم حنكةً واقل منهم مالاً وقد غرَّهم منها سراب الامل اقبلوا عليها فكانت خسائرهم فادحة ادّت الى خراب كثير من البيوت العامرة . واعتبر بما حلّ ببيروت بسببها منذ امد قريب وما آلت اليهِ من الخراب وبوار التجارة وفقد الثقة المالية حتى قدّر العارفون انها لا تعود الى سالف غناها الا بعد خمسين سنة تمر عليها بالرخاَء مع ان الخسارة ابتزَّها الاغنياَء من متوسطي الحال الذين اغروهم بشراَء اسهم في تجارات لا يفهمون منها شيئًا ولا يعرفون كيف يتلفظون باسمائها

وجنون المقامرين فنون وقصصهم عجائب غرائب وهم منتشرون في كل مكان معروفون في كل زمان مقذوفون بكل لسان محكوم عليهم في كل الشرائع والاديان وهم مع ذلك لا يرعوون . فان القمار كان منتشرًا كثيرًا

بين الرومان قبل خراب جمهوريتهم بمدة طويلة حتى اولع بهِ الرعاع مع ان شرائعهم حظرتهُ وقام حكماؤهم وخطباؤهم ينادون على المنابر بتحريمهِ وتقبيحهِ وذكر المؤرخون ان الجرمان اولعوا بالقمار ولعاً شديداً كان يحملهم على الجنون ويدفعهم الى ارتكاب الجرائم حتى كان الواحد منهم يقامر على نفسهِ بعد خسارة مالهِ فيسترقهُ الغالبُ المغلوب ولا ممانعة ويتصرف فيهِ كما يشآء ولا معارضة . اما الهون فكانوا يقامرون اولاً على اموالهم فان خسروها قامروا على سلاحهم وهو أعزُّ شيء لديهم فان خسروهُ قامروا على انفسهم وكثيرًا ما كانت تنتهي مقامرتهم بالانتحار . وكان المقامرون في نابلي وغيرها من مدن ايطاليا يتراهنون على انفسهم بان يملك الغالب رقبة المغلوب حيناً من الدهر وحكي ان رجلاً من البندقية قامر على امرأتهِ وان صينيًّا قامر على امرأتهِ واولادهِ وان المقامرين في موسكو وبطرسبرج يقامرون على اثاث بيوتهم وما يملكون من الارض بما تشتمل عليهِ من المزارعين فتنتقل ملكية المزرعة المُقامَر عليها مع فلاحيها وبهائمها الى عدة اشخاص في اليوم الواحد . والحكايات من هذا القبيل كثيرة يؤلف منها كتاب كبير الحجم يستشف منهُ غرائب حوادث الجنون الناتج عن هذا الدآء الوبيل المنتشر في جميع انحآء العالم حتى بين الهمج فهو على قِدَمهِ لا يزال شديد الوطأة على الآداب ذريع الفتك بالبشر كثير التفشي ولا سيما في المدن الآهلة بالسكان الحافلة بالاغنيآء ممن فسدت اخلاقهم وارتطموا في حمأة المعاصي اولئك الذين آلهتهم بطونهم وفخرهم في خزيهم

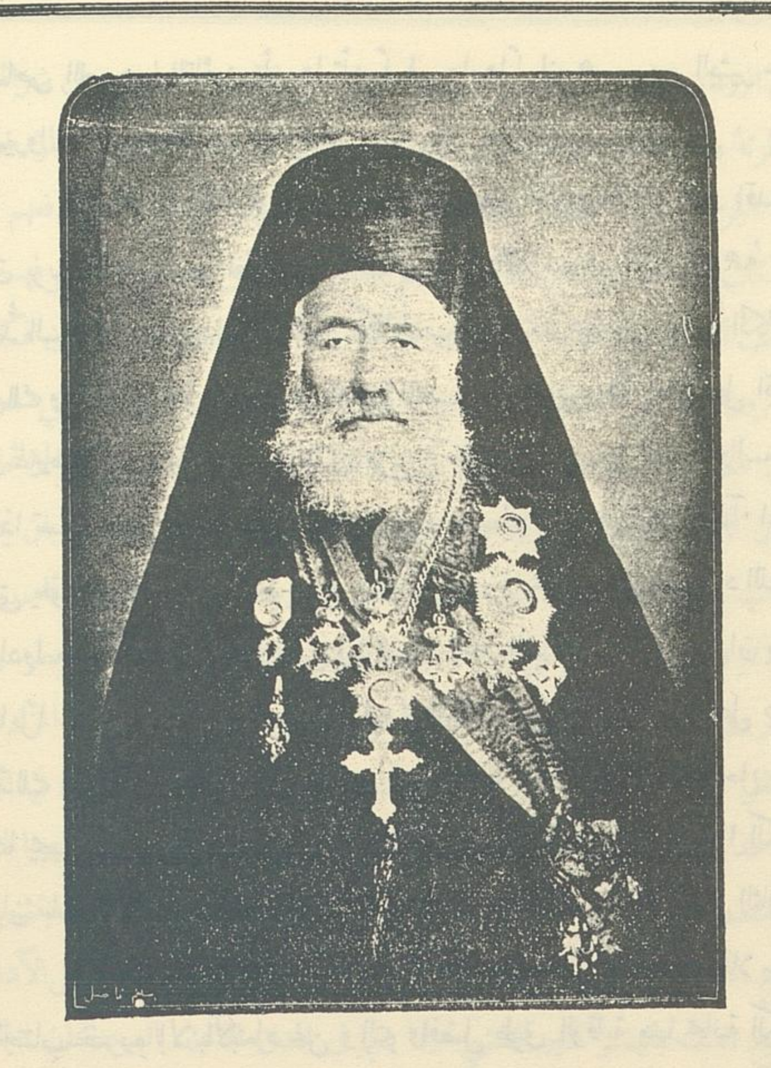
ومما يزيد في تفشي هذه العلة الوبيلة بيوت المقامرة السرية القائمة في المدن الكبيرة حيث يأمن المقامرون التعسآء عار الفضيحة فمن الواجب اذًا على كل حكومة عادلة ان تتحرى البحث عن هذه البيوت الجهنمية فتعطلها وتبالغ في

قصاص اللصوص القائمين بأمرها تأديباً لهم وارهاباً لغيرهم من البشر حتى يصيروا عبرةً لمن اعتبر

لا جرَم ان المقامرة تخلب العقول فلا يبصر المقامر الهاوية تحت اقدامهِ لان بريق الذهب يبهر نظرهُ فهو كالظمآن في الفلاة يرى الآل فيتوهمهُ ماءً فيجدُّ السير اليهِ ولا يزداد الا ظمآءً وكلما قرب منهُ ابتعد عنهُ حتى يعتريهُ الكلال فيهلك وعلى هذا النحو يجد الذي يحضر اللعب من نفسهِ دافعاً يحملهُ على اقتفاء اثر غيرهِ والتحدي باصحابهِ وهو يرى من خلال الامل بريق الثروة والسعادة واذا تعس جدهُ وربح في أول لعبهِ لا تعود تضبطهُ شكيمة فيستسلم للقضاء المبرم حتى يعود بصفقة الخاسر فكم من رجال حضروا مجالس المقامرة لمجرد التسلية فعادوا من اكبر المقامرين . ومن امثالهم ان احد الشاهدَين لا بدّ من ان يصير مقامراً . ومن لعب مرةً اضطرمت فيهِ محبة اللعب حتى لا يعود يقوى على دفعها ولذلك قيل المقامرة لجة يغرق الغائص فيها لا محالة لانها لا قرار ولا ساحل لها . ومما يجمل ذكرهُ هنا ما نُقش على باب احد بيوت القمار وهو « لهذا الكهف بابان باب الامل وباب الاثم والهلاك يُدخل اليهِ من الاول ويُخرَج من الثاني »

واذا تبينت ذلك علمت ان المقامرة داءٌ عقام لا يرجى شفاؤهُ فلا سبيل لاجتناب ضررهِ الا بالابتعاد عن وبالتهِ وافضل طرق الوقاية منها مجانبة الكسل والبطالة ومحايدة اللهو واللعب والبعد عن بيوت المقامرة ومصاحبة المقامرين والذين يفاخرون بالسُحت ويُعدُّون بيوتهم للقمار وكفى بما تقدم تنبيهاً للغافلين وتبصرةً للعاقلين





غريغوريوس يوسف

البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي
على طائفة الروم الكاثوليك

في الثالث عشر من الشهر العابر رُزئت طائفة الروم الكاثوليك بفقد حبر احبارها ومشيد صروح مجدها وفخارها السيّد الجهبذ الفاضل والعالم العلاّمة

الكامل غريغوريوس يوسف البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي توفاهُ الله في مدينة دمشق عن اربع وسبعين سنة قضاها متزودًا من خير الاعمال ما تزلّف بهِ من مقام ربهِ حتى فاز بالسعادة في جوارهِ وقربهِ فعظم المصاب فيهِ على أُمةٍ كساها حلل الفخر والمجد واظلم بأُفولهِ الشرق الذي كان كوكبهُ ومن عجبٍ ان يأفل الكوكب في اللحد

فلئن بكتهُ أسًى يحقّ لها | او لا ففي سعةٍ من العذرِ
فلمثلهِ جرت العيون دمًا | ولمثلهِ جمدت فلا تجري

وكان مولدهُ رحمهُ الله في مدينة رشيد من اعمال مصر في اواخر شهر اكتوبر سنة ١٨٢٣ ونشأ في مدينة الاسكندرية الى ان بلغ السابعة عشرة من عمرهِ فدخل في رهبانية دير المخلص بجبل لبنان عاكفًا على طلب العلم مثابرًا على القنوت والنسك حتى صار القدوة المثلى في الاجتهاد والفضيلة. وفي سنة ١٨٤٧ رحل الى مدينة رومة فتخرج في مدارسها ونبغ في علم اللاهوت والفلسفة واحكم من اللغات اليونانية واللاتينية والطليانية وآب سنة ١٨٥٢ الى الاسكندرية فلم يكد يُلقي بها عصاهُ حتى انتُخب مطرانًا على عكآء فلبث فيها الى سنة ١٨٦٤. وكان سالفهُ البطريرك اكليمنضوس بحوث شيخًا صالحًا يؤثر العزلة والنسك وقد ثقل عليهِ تدبير شؤُون الطائفة على اثر ما نشأ فيها من الشقاق لدن العدول عن الحساب الشرقي الى الحساب الغربي فاستقال من منصب البطريركية وانتُخب صاحب الترجمة خلفًا لهُ وذلك في ٢٩ سبتمبر من تلك السنة فكان اول مساعيهِ استئصال شأفة الشقاق وجمع الكلمة واصلاح ذات البين

وفي السنة التالية انشأ في بيروت المدرسة المنسوبة اليهِ وهي المدرسة التي نبغ فيها من الطلبة جمٌّ غفير وكان لكثيرٍ منهم اليد الطولى في النهضة العلمية

في القطرين السوري والمصري . واول من درّس فيها العلوم العربية الطيب الذكر العلاّمة اللغوي النحوي الشاعر الشيخ ناصيف اليازجي الشهير فاشتهرت بشهرتهِ واغترف من بحرهِ الذين تخرجوا عليهِ ودرسوا مصنفاتهِ التي لم يُنسَج على منوالها في سهولة مأخذها وحسن ترتيبها وخلوها من الحشو والتعقيد ولقد احسن في تاريخ انشائها حيث قال

أنشا غريغوريوس للعلم مدرسةً بالبطركية ندعوها على النسبِ
تقول ارقام عامٍ ارخوهُ بها من كوكب الشرق لاحت زهرة الادبِ

سنة ١٨٦٥

على انهُ لم يذهل بتدبير شؤون الدراسة عن القيام باعباء الرئاسة ولم يشتغل بارتقاء ذروة المنابر عن ابتناء ذروة المفاخر فبينما هو يهتم بتعميم العلم ونشرهِ ويصدع بوعظهِ وزجرهِ اذا بهِ يسعى في عاصمة المملكة العثمانية لدى ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان بما يعود بالنفع على ابناء ملتهِ ويثبت لديهِ صدق تابعيتهِ فنال من لدنهُ الوسام المجيدي الاول والبراءة السلطانية وكثيرًا من المِنَح التي صلحت بها احوال الرعية

وبعد ان استقرّ في الاستانة اربعة اشهر عاد الى سوريا فافتتح المدرسة الاكليريكية في عين تراز وهي التي اشتهرت بمن نبغ فيها من الكهنة الافاضل . وفي سنة ١٨٦٧ ارتحل الى رومة لحضور احتفالٍ ديني دعاهُ اليهِ البابا بيوس التاسع ثم انتقل الى فرنسا فجال في بعض مدنها حتى اتى باريز فشهد معرضها العام وقابل الامبراطور نابليون الثالث ثم سار الى بلجكا وقابل ملكها ثم قابل الامبراطور فرنسيس يوسف في ڤينا وكان حيثما حلّ عزيز الجانب محفوفًا بالتجلة والاكرام وبعد ذلك قفل راجعًا الى مصر فسوريا

وفي سنة ١٨٦٨ ذهب مع ثمانية من اساقفتهِ الى رومة بدعوة من البابا بيوس التاسع لحضور المجمع الواتيكاني فالقى فيهِ خطبتين بليغتين باللغة اللاتينية دافع بهما عن حقوق الكنيسة الشرقية دفاعاً دوى صداهُ في اقطار العالم . ثم عاد الى سوريا وعكف على رفع شأن الطائفة ببناء المدارس والكنائس وكان في جملة ما انشأهُ مدرسة القديسة حنة بالقدس الشريف واربع مدارس بدمشق ومدرستان بالقاهرة ومدرسة بالاسكندرية وحذاء كل كنيسة في المدن والقرى مدرسة لتعليم الاحداث . وقد انشأ ابرشيتين جديدتين وبنى نحو عشرين كنيسة اعظمها كنيسة القديسة ويرونكا بالقدس وهي التي وُهبت لهُ ارضها بامر شاهاني

وفي سنة ١٨٨٨ زار الاستانة ونزل ضيفاً على نفقة الحضرة الشاهانية التي خصصت لهُ قصرًا فسيحًا لضيافتهِ واناله شرف المقابلة السنية عدة مرات

وفي سنة ١٨٩٤ ذهب الى رومة فقابلهُ البابا لاون الثالث عشر مقابلة احتفالية واكرم مثواهُ الى ما لا غاية فوقهُ وفي اثناء رجوعهِ مرّ في باريز وقابل رئيس الجمهورية ووزراء الدولة الفرنسوية ثم زار الاستانة مرة اخرى فنال من لدن الذات الشاهانية ما لا مزيد عليهِ من التعطفات السنية وقفل بعد ذلك عائدًا الى سوريا

وكان رحمهُ الله حسن الهيئة معتدل المزاج قويَّ البنية ربعة القوام اسمر اللون بارز الجبهة اشهل العينين ينظر بهما عن ذكاء وثقوب رأي بديه الجواب حسن المحاضرة فصيح الخطاب ثبت الجنان حازماً متداماً شديد الشكيمة لا يقف موقف القنوع على انهُ كان بعيدًا عن العجرفة والخُيَلاء سهل الاخلاق رحب الصدر طليق الوجه يقظ الفؤاد . وكان آخر مآثرهِ أن اوصى بجانبٍ كبير من

ماله لاقامة بناء جديد لمدرستهِ البطريركية في بيروت رحمهُ الله عداد حسناتهِ وأفرغ عليهِ شآبيب عفوهِ ومرضاتهِ

غرائب المعمودية

اطلعنا في احدى المجلات الفرنسوية على مقالة لبعضهم بهذا العنوان فلخصنا منها ما يأتي تفكهةً للقرّاء قال

قد الف الناس في جميع انحاء العالم ابداء امارات الفرح والسرور عند ما يطلقون على الطفل اسماً يتعرف بهِ . ولكل امةٍ طريقة خصوصية تجري بحسبها في الاحتفال حينئذٍ وفاقاً لحكم العادة والدين فالبروتستنت في انكلترا يحتفلون الآن بالمعمودية احتفالاً شائقاً وذلك بان يأتي الابوان بولدهما الى الهيكل مع كفيليهِ (العرّاب والعرّابة) وجمهور الاصدقاء المدعوين لحضور هذا الاحتفال وكلهم متزيون بافخر الثياب والحلي اما الطفل فيُلبس ثوباً ابيض مطرزاً رمزاً الى طهارتهِ ثم يبدأ القسيس او الاسقف الاحتفال بالصلاة على ما درجوا عليهِ . على ان بعض فرق البروتستنت لا ترى المعمودية امراً جوهرياً في الدين فلا يعبأون بها كثيراً

ويحتفل الكاثوليك بالمعمودية احتفالاً دينياً فيبدأُ الكاهن بالتعزيم عليهِ ليخرج منهُ الروح الشرير . وفي اثناء الاحتفال يكون الطفل محمولاً على ذراعي كفيلهِ فيجاوب الكاهن متعهداً بالنيابة عنهُ انهُ يكره الشيطان وجندهُ . ثم يرسم الكاهن علامة الصليب بين منكبي الطفل ويتم الصلاة ويضع ايضاً شيئاً من الملح في فمهِ فيصرخ لذلك . وعلى هذه الطريقة تجري معمودية الكاثوليك في المانيا وايطاليا واسبانيا وفرنسا وانكلترا الاّ في بعض امور عرضية . وقد جرى الغربيون في المعمودية على رش الطفل بالماء اما الروم وسائر الطوائف النصرانية

الشرقية فانهم يغطسونهُ تغطيساً ثلاث مرات

واذا تجاوزنا البلاد المتمدنة نرى غرائب من هذا القبيل يُستدَلّ بها على ما بين الشعوب من التفاوت في الاخلاق والعوائد فاللابيون وهم نصارى لم تزل راسخة فيهم العقائد الوثنية يحتفلون بتسمية اطفالهم على طريقة تجمع بين المذهبين وذلك بان يوضع الطفل في علبةٍ على شكل هلال ويقدَّم الى الكاهن فيرسم عليهِ اشارة الصليب بالمآء ويسميهِ باسم احد اجدادهِ الوثنيين على ان هذا الاسم كثيرًا ما يُبدَل بغيرهِ لحالٍ من الاحوال كأن يمرض الطفل فيُستدَلّ على ان سميّهُ لم يكن قادرًا على حمايتهِ فيلجأُون الى سميٍّ آخر وربما عمدوا الى تغيير الاسم لمجرَّد التفاؤل او التشاؤم. والكرائب وهم امةٌ من هنود اميركا لم تزل على حالة الهمجية يجرون على طريقة اغرب وهي انهم يعهدون في الاحتفال الى رجلٍ وامرأةٍ يقومان بكفالة الطفل كالعرّاب والعرّابة ولكنهما عوضاً عن تقديم الهدية لهُ يثقبان اذنيهِ وشفتهُ السفلى وخنّابتي انفهِ لتعليق الاقراط والخزم وغيرها من ادوات الزينة . وهنود فلوريدا يسمون ابنآءهم باسم الاعدآء الذين قهرهم الاب او باسم القرى التي دمرها او باسم موقعةٍ فاز فيها بالنصر

واهل المكسيك يحملون الطفل الى الهيكل باحتفالٍ فيتلو عليهِ الكاهن موعظةً يحضّهُ فيها على التجمّل في احتمال مكاره الحياة ثم يضع في يدهِ اليمنى سيفاً وفي اليسرى ترساً يساعدهُ الكاهن على امساكهما واذا كان ابو الطفل يؤثر ان يكون ابنهُ من اهل الصناعات يبدل السيف والترس بآلات تدلّ على حرفتهِ في المستقبل ثم يقرّب الكاهن الطفل من المذبح ويأخذ قطرة دمٍ من اذنهِ ومن مواضع أُخر من بدنهِ ثم يغطّس في مركن مآء . وبعضهم يبدلون هذه الطريقة بطريقة لا شيء فيها من الرسوم الدينية وهي ان تأتي المرضع بالطفل

الى حيث أُعدّ طست ماء تغطسه فيه ثلاث مرات يهتف في اثنائها ثلاثة اولادٍ عمر كلٍ منهم ثلاث سنين باسم الطفل الذي تلقنوهُ

على ان بعض الامم الهمجية لا تحتفل بشيء عند تسمية المولود وربما اتخذوا اسمهُ من حادثٍ يحدث عند الولادة كما اذا سمعوا عواء ذئب فيسمونهُ باسم الذئب وهذه من عوائد اهل استراليا . على ان الزنج في بعض جهات افريقيا يجرون على طريقة جديرة بالاعتبار وهي ان يحمل كاهن العشيرة الطفل اذ يبلغ عشرة ايام من عمره فيخاطبهُ وقد حفَّ بهِ الحضور خطاباً يفيض فيه ببيان ما يجب عليهِ عملهُ حتى يصير رجلاً يعمل الخير ويقدم على محاربة الاعداء

ومن عوائد اليابان ان يحمَل الطفل بعد ان يتمّ مئة يوم من ولادتهِ الى هيكل شنتو فيسمّى باسم مركَّب من اسم عترة ابيهِ وعترة كفيلهِ وهو يُختار من اخص اصدقاء الاب للعناية بولدهِ فيما بعد يقصدون بذلك توثيق الرابطة بين السميّ والمسمَّى ثم يكتب الكاهن الاسم ويعطيهِ للوالد فيجعلهُ في حرز . وبعد ذلك يوضع الطفل على الارض ليدبّ كما يشاء فيتكهنون على مستقبل امرهِ بالنظر الى الجهة التي يدبّ نحوها ويمسك احدهم حينئذٍ فوق رأسهِ حزمة من قصاصة الورق مشدودة بعُصافة يرمزون بذلك الى ان ارواح اجدادهِ تحضر عليهِ ثم يجعلون في يديهِ مروحتين ثم يبدلونهما بسيفين . واما الصينيون فمتى بلغ الطفل الاسبوع الرابع يُسلَّم الى امرأةٍ ذات بنين فتحلق رأسهُ وحينئذٍ يقدّم لهُ الوالدان واصدقاؤهما الهدايا واكثر ما تكون الهدية صحناً من الفضة قد حُفرت عليهِ هذه الكلمات « حياةٌ طويلة وعيشةٌ راضية و بالٌ هنيء . » ثم يسمَّى باسمٍ يبقى عليهِ حتى يبلغ طور المراهقة وهو حين دخولهِ المدرسة فيُبدَل باسم آخر اما البنات فيبقى لهنَّ اسمهنَّ حتى يتزوجنَ

ومن اغرب العوائد ما جرى عليهِ البانيان وهم فرقة من الهنود دون البراهمة فانهم اذا بلغ الطفل عندهم اليوم الرابع يجمعون جوقة من اولاد الجيران يصفّونهم حول ملآءَة كبيرة يبسطونها على الارض ويجلس في وسطها احد البراهمة ثم يمسك الاولاد باطرافها ويحركونها ربع ساعة وبعد ذلك تختار اخت الطفل اسمًا لهُ واذا لم يكن لهُ اخت تقوم مقامها جاريةٌ صغيرة من بنات الجيران اما الاحتفال الديني فلا يتم الا بعد شهرين

ومن غرائب البدع ما يفعلهُ المجوس من رفع اطفالهم فوق نار تضطرم قصد تطهيرهم على ان هذه العادة في عصرنا غير مرعية كما كانت من قبل ومن الغريب ان هذه العادة بقيت زمنًا طويلاً مرعيةً في كثيرٍ من انكلترا ولا سيما في ايكوس حتى اوائل هذا القرن

حل اللغز المُورَد في الجزء الخامس لحضرة الاديب امين ابرهيم افندي الخوجه

سمير المعالي دمت للفضل جنةً بها تجتني الالبابنا اطيب الغرسِ
لقد ضُمّن الدينار لغزك فانجلى وهل يختفي وهو المشبَّه بالشمسِ

وجاءَ حلهُ ايضًا من حضرات الادبآء الافندية عبد المسيح مكرم ومرقص نخلة وسليمان الحداد بالاسكندرية وحايم اديرت بالمنصورة فاجتزأنا بنشر الاول

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية — يستدلّ من مطالعة الكتب القديمة بعد الاسلام ان العرب كانوا يستعملون لغتين عامية للنطق وفصيحة للكتابة كما نفعل نحن الآن ولا اظن ان اللغة العامية قد نشأت في ذلك العهد الذي اشير اليهِ بل اظن انها قديمة وانها كانت اقرب الى الفصيح من لغاتنا العامية الحاضرة فزادتها عشرتنا

للاتراك والافرنج سقماً وفساداً ولا يبعد أن قد كان لعرب الجاهليـة انفسهم لغة عامية او مختصرة عن اللغة الفصحى كما يشاهد الآن عند بعض الامم الافرنجية فهل لبيانكم ان يذكر لنا بيان ذلك ويعين تاريخ هذه اللغة العامية وما كان الداعي الطبيعي اليها فانني اعتقد ان اللغات العامية من ضرورات الانسان بدليل ما نشاهدهُ من الاختراع والتبديل في نفس اللغة العامية التي وصل الناس فيها الى آخر درجات السهولة من حيث اختصار الكلام واختراعهُ ا . ح

الجواب — أمّا القول بان عرب الجاهلية كانت لهم لغتان فصيحة وعاميّة فمما لم يرد بهِ نقلٌ ولا دليل عليهِ بل الأدلّة متضافرة على خلافهِ لان اللغويين والنحاة نقلوا كل ما سمعوهُ من كلامهم ولغاتهم ولم يتركوا شاذّاً ولا دخيلاً الاّ قيدوهُ حتى ما لهم من عجعجة وعنعنة وشنشنة وكشكشة وطُمطُمانية ولَخلخانية ووتم ووكم ووهم وقطعة[١] وغير ذلك مما يطول استيفاؤهُ وحتى ما جرى على ألسنتهم من اللفظ الوحشيّ والمتروك من نحو الشرنوغ للضفدع والفِرْنِب للفار والقَشْمَذِين للسماء والكحوف للأعضاء والشغيزة للمسلّة والهوزن للغبار ونحو فَطَذَهُ

١ كانت العجعجة لقضاعة وهى ابدالهم من الياء الواقعة بعد العين جيماً كقولهم فى معى معج ٠ والعنعنة لتميم وهى ابدالهم من الهمزة المبدوء بها عيناً كقولهم فى انك عنك ٠ والشنشنة لليمن وهى جعلهم الكاف شيناً يقولون ليش اللهم ليش اى لبيك ٠ والكشكشة لربيعة ومضر يزيدون بعد كاف المخاطبة شيناً يقولون رايتكش ومررت بكش ٠ والطمطمانية لحمير وهى ابدالهم من لام التعريف ميما يقولون طاب امهواء اى طاب الهواء ٠ واللخلخانية للشحر وعمان وهى حذفهم بعض احرف اللين يقولون فى ما شاء الله مشاء الله ٠ والوتم فى لغة اليمن وهو ابدالهم السين تاء كالنات فى الناس ٠ والوكم فى لغة ربيعة وهو كسرهم كاف المخاطبين حيث تكسر الهاء يقولون عليكم وبكم ٠ والوهم فى لغة كلب وهو كسرهم هاء الغيبة فى كل موضع وقعت فيه مجرورة يقولون منهم وبينهم ٠ والقطعة فى لغة طيء وهى قطع اللفظ قبل تمامه يقولون يا ابا الحكا اى يا ابا الحكم ٠ ولهم لغات اخر غير هذه اضربنا عن ذكرها خوف الاطالة

عن الشيء اي زجرهُ وطَزَع الجنديّ اي قعد ولم يغزُ وفَكِم الرجل اذا أطرق من حزنٍ او غضب وزنهر بعينه اي حدّد النظر وشَتَن الثوب اي نسجهُ وما شاكل ذلك . بل ربما نقلوا الفاظًا لم تفسَّر كجحلنجع في قول ابي الهميسع « من طمحةٍ صبيرُها جحلنجع » اوردهُ صاحب القاموس ثم قال ذكروهُ ولم يفسروهُ وقالوا كان ابو الهميسع من أعراب مَدْيَن وما كنا نكاد نفهم كلامهُ . وفي تاج العروس قال شيخنا وقد اختلفت فيهِ كلمة ائمة الصرف وادّعوا فيهِ الاسمية والفعلية الى آخر ما ذكرهُ وهذا من اغرب ما وقع لهم من الخلاف وما ندري كيف يكون نحو جحلنجع فعلاً . وكما جاء في القاموس من قولهِ « الكَشَعْثج كسفرجل والكَشَعْطج مولَّدان » هذا لفظهُ لم يزد عليهِ ولا وقع الشارح على تفسيرٍ لهاتين اللفظتين [1] لكنهُ صحح رواية « الكشعطج » فنصّ عليها بالظاء المعجمة ... ومع هذا الحرص كلهِ والإسفاف على نقل كل ما سمعوهُ منهم لا يبقى محلٌّ لتوهُّم أن هناك شيئًا لم ينقلوهُ بل لو صحّ ان لهم لغةً مخصوصةً بالمحادثات العاميّة لوجب ان يكون شيءٌ منها في امثالهم اذ هي جاريةٌ على ألسنة الجميع لا يستغني عنها احدٌ في الحديث ولا يُخَصُّ بوضعها فريقٌ دون آخر بل كثيرًا ما يبدر من ألسنة العامّة واهل الطبقة السفلى من الأُمّة ما قد لا يخطر للنبيل منها وذي الحكمة البالغة ونحن نجد كل ما بلغ الينا من امثالهم لا يباين سائر كلامهم في شيء بل هو على الغالب من عيون الكلام ومنتقاهُ . وبعدُ فان القوم انما كانوا اهل باديةٍ ورعاء ابلٍ وشاء فلم تكن عندهم محافل يخطبون فيها بالفصيح ولا لهم معرفةٌ بالكتابة فيدوّنوا تآليفهم بهِ على ما هو جارٍ عندنا لهذا العهد بل الذي نُقِل الينا من كلامهم

---

[1] ذكر عاصم ما محصله ان هذا اللفظ يطلق على الرومى المولود بين العرب قال ويروى فى بعض النسخ بالفاء والتاء (اى مكان العين والثاء) ولعله تعريب كشفت اسم لطائفة من اليهود . اه

هو ما كانوا يقولونهُ في المراعي والفلوات وبين أطناب الخيام مما كان الرجل يخاطب بهِ صاحبهُ او امرأتهُ او ناقتهُ وربما كان مما خاطب بهِ ذئباً او ظبياً على ما نرى كثيرًا منهُ في اشعارهم . على ان الفصاحة لم تكن عندهم مما يتكلفون لهُ ويحشدون قرائحهم لأجلهِ وانما هي ملكةٌ راسخةٌ في ألسنتهم لا يناجي احدهم نفسهُ الا بالفصيح ولا ينطلق لسانهُ الّا بهِ من الشيخ الكبير الى الجارية الصغيرة ومن سيّد القوم الى حادي الإبل وحسبك في ذلك قصة البدويّ في امر سيبويه والكسآئيّ حين جمع بينهما الامين بن هرون الرشيد وتناظرا بين يديهِ فزعم الكسآئي ان العرب تقول كنت اظنّ الزنبور أشدّ لسعاً من النحلة فاذا هو اياها فانكر سيبويه عليهِ ذلك وقال الصواب فاذا هو هي وتشاجرا طويلاً ثم اتفقا على مراجعة عربيٍّ خالص لا يشوب كلامهُ شيءٌ من الحضر وكان الامين شديد العناية بالكسآئي لانهُ كان معلمهُ فاستدعى عربيًّا وسألهُ فقال كما قال سيبويه فقال لهُ نريد أن تقول كما قال الكسآئي فقال ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانهُ ما يسبق الّا الى الصواب الى آخر القصّة . بلى قد نجد في منقولهم شيئاً يشبه لغة العامّة وهو ما يتمثل بهِ النحاة من قولهم « اكلوني البراغيث » فان فيهِ خلا الاضمار مع الفعل المسند الى الظاهر استعمال ضمير العاقلين لما لا يعقل وهو ما لم تكن العرب تعدل اليهِ الا في مواضع ليس هذا منها. على ان هذه العبارة اشبه ان تكون من لغة اليمن فانها اقرب شيءٍ الى العبرية وضمير الذكور المرفوع في هذه اللغة هو الواو مطلقاً والضمائر عندهم تُعدّ من قبيل العلامات كتاء التأنيث عندنا مثلاً فلا يمتنع الجمع بينها وبين المرفوع الظاهر. وكيفما كان الحال فهي لغةٌ قائمةٌ بنفسها لا احدى لغتين يتكلم اهلها بهما جميعاً فيقولون مرةً اكلوني البراغيث ومرةً اكلتني البراغيث

ومعلومٌ ما كان للعرب من العناية بلغتهم والمغالاة بمحاسنها والتفنن في اوضاعها واساليبها الى ما لم تلحقهم فيهِ أُمّة فلم يكن من المحتمل انهم يعمدون الى اهمال شيءٍ منها هو حِليتها وجمالها اعني بهِ الاعراب الذي هو الفارق الاعظم بين العامّي والفصيح وانما كان ذلك ولا شكّ بعد الاسلام وسببهُ كثرة اختلاط العرب بالاعاجم من اهل البلاد التي افتتحوها وتعذُّر اقامة الاعراب على ألسنة هؤلآء اذ هو عند العرب مأخوذ بالسليقة واما الاعجمي فلا يتناولهُ الاّ من طريق التعلُّم والتحفُّظ وهو محالٌ في حقّ أُمّةٍ بل أُمَمٍ بأسرها ممن خفقت على رؤوسهم عُقاب العرب لذلك العهد فكان ذلك ولا ريب قاضياً باهمال الحركات من اواخر الكلم وإلزام الجمع والمثنى اليآء لانها اكثر دوراناً فيهما وترك نون الرفع من اواخر الافعال أو الحاقها حتى بالماضي والامر على ما لا تزال مثُلهُ في في بعض الاصقاع الى هذا اليوم لان ذلك كلهُ مما لا يتأتى ضبطهُ للدخيل لصعوبة التمييز فيهِ بين حالٍ وحال . ويتصل بذلك اشيآء أُخر من الاحوال الصرفية كالفرق بين التفعيل والتفعُّل وبين ما يهمَز كدعائم وما لا يُهمَز كمشايخ وما يؤنث لفظهُ كطويل وما لا يؤنث كجريح الى غير ذلك من اوزان المصادر والجموع واحكام الادغام والاعلال وسائر احوال التصريف والاشتقاق مما لا يُحكمهُ الاجنبيّ الاّ بالدرس الطويل ومعاناة الحفظ وتكرار الاستعمال وانما ذلك من اغراض الخاصّة الذين انقطعوا للاشتغال باللغة ووقفوا عليها ايامهم على ما هو شأن المشتغلين بسائر العلوم

فاذا تقرر هذا عُلِم منهُ ان اللغة العامّية قد بدأت بعد الاسلام بسنين قلائل اي منذ عهد الفتوح الا انها كانت اولاً بين الاعاجم للسبب الذي قدمناهُ فهي اذن بدأت بأول اعجميّ تكلم بالعربية ثم انتشرت بين العرب انفسهم

ممن نشأ في ذلك العهد بمخالطتهم للاعاجم وتكرُّر اللحن على اسماعهم حتى فسدت فيهم ملكة الاعراب . ومن شواهد ذلك ما يُروَى من قصة ابي الأَسوَد الدُؤَليّ في وضع مبادئ علم النحو وذلك أن ابنةً لهُ قالت لهُ في احدى الليالي يا أبي ما أَحسنُ السماءِ وضمّت النون من أحسن فقال يا بُنيّة نجومها فقالت انما اتعجب من حسنها لا أسألك عن أحسن شيء فيها فقال اذن فقولي ما أَحسَنَ السماءَ . واخذ من ذلك الوقت يدوّن ما حضرهُ من قواعد هذا العلم فكان اول شيء وضعهُ باب التعجب وكان ذلك قبل مُنتصَف المئة الاولى للهجرة . ومما يُحكى أن الشعبيّ دخل يوماً على الحجّاج بن يوسف الثَقَفيّ فقال لهُ الحجاج كم عطآءَك في السنة وفتح الهمزة من عطآءَك كما تقولهُ العامّة فقال ألفين فقال ويحك كم عطآؤك فقال ألفان قال وكيف لحنت اولاً قال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت وما كان يمكن ان يلحن الامير وأُعرِب انا

ومن هنا تتبين سرعة انتشار اللغة العامّية وعمومها لآحاد الأُمة حتى تناولت الخاصّة وكبرآء اهل الادب وحسبُك أن مثل الحجاج مع تقدُّمهِ في هذه الصناعة ورئاستهِ بين ارباب الفصاحة سبقهُ لسانهُ الى اللحن حتى اضطُرّ الشعبيّ الى مجاراتهِ فيهِ مما يدلّ على تمكن اللغة العامّية منهُ وغلبتها على لسانهِ وما بلغت ان يتكلم بها مثل الحجاج الاّ وقد عمّت الجيل كلهُ وصار التكلم بالفصيح من الغريب المستهجن على حدّ ما نشاهدهُ ليومنا هذا . ومن مُستملَح ما يُروَى في هذا المقام ما اوردهُ صاحب نفح الطيب من ان الشيخ ابا عليّ الشلوبيني على شهرتهِ في علم النحو وما لهُ من التصانيف التي غرّبت وشرّقت كان لفظهُ في منتهى الركاكة واللحن حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلامهُ وهو يُقرِئ درسهُ لضحك بملء فيهِ من شدة التحريف الذي في لسانهِ قال والخاصّ منهم

اذا تكلم بالاعراب واخذ يجري على قوانين النحو استثقلوهُ واستبردوهُ . اه

زَجعٌ . واول كلامٍ عاميّ نُقل الينا بعد ذلك العهد كان في اواخر المئة الثانية للهجرة وهو المواليّا الذي يُروَى عن لسان احدى جواري جعفر البرمكيّ بعد أن اوقع الرشيد بالبرامكة ومنع الشعرآء من رثآئهم فانها رثته ببيتين من الشعر العاميّ وجعلت تنشدهما وتقول يا مواليّا تعني بني برمك ومن هنا سُمّي هذا النوع من النظم بالمواليّا وهما قولها

منازلٌ كنت فيها بعد بُعدكْ دُرْس خرابْ لا للعزا تصلُحْ ولا للعُرْس

فأين عينيك تنظرْ كيف فيها الفُرْس تحكُمْ وألسنة المُدّاح عنها خُرْس

وقيل اول من انشد المواليّا اهل واسط وكان عبيدهم وغلمانهم يغنّون بهِ في رؤوس النخل وعلى سقي المياه ويقولون في آخر كل صوت يا مواليّا اشارةً الى ساداتهم وعلى هذا فيكون اقدم من العهد المذكور الاّ انهُ لم يُنقَل الينا من مواليّات اولئك ما تصحّ روايته

على أن ذلك كلهُ انما كان في الامصار ومواطن الحَضَر حيث وقع الاختلاط بالعجم واما في البادية فبقيت اللغة على خلوصها دهرًا طويلاً لم يكد يشوبها لحنٌ ولا تبديل كما يشهد بذلك ما ذُكر من مسئلة الكسآئي وسيبويه وكما يستفاد مما ذكرهُ صاحب الصحاح من انهُ شافَهَ بها العرب العاربة في ديارها بالبادية وذلك في النصف الثاني من المئة الرابعة للهجرة . الاّ انهُ مع كرور الزمن دبّ هذا الفساد الى الباديّة ايضًا بمخالطتهم للحضر ولا سيما في الحجاز لكثرة اختلاف الحجاج اليهِ من جميع الآفاق وسرى من اولئك الى غيرهم من سائر سكان الاقطار العربية الى ان زالت الفصاحة من السنتهم جملةً وصارت لغتهم اليوم دون لغة الحضر وابعد منها عن الفصيح ودخلت في حدّ الرذل المبذوء .

على انهُ جآء في القاموس في مادّة (ع ك د) ذكر الجبل المسمى بعَكَاد وهو جبلٌ باليمن قرب مدينة زبيد زعم ان اهلهُ باقون لعهدهِ على اللغة الفُصحى وذلك بين المئة الثامنة والتاسعة للهجرة . وزاد في تاج العروس قولهُ الى الآن اي الى عصر الشارح وهو اواخر المئة الثانية عشرة قال ولا يقيم الغريب عندهم اكثر من ثلاث ليالٍ خوفاً على لسانهم . اه وهو من الغرابة بمكان والله اعلم

آثار أدبية

كتاب مرآة الايام في ملخَّص التأريخ العام — أُهديت لنا نسخةٌ من الجزء الاول من هذا الكتاب مدبَّجاً بقلم حضرة الكاتب الألمعيّ خليل افندي المطران مكاتب جريدة الاهرام بمصر وهو سفرٌ لطيف واضح العبارة سهل الاسلوب حسن التبويب اخذهُ عن اشهر التصانيف الموثوق بصحتها واقتصر فيهِ على سياقة الوقائع مجرَّدةً عن الاقوال المختلفة والروايات المتعارضة بحيث يتهيّأ المطالع الاحاطة بأشهر الحوادث التأريخية من أقرب سبيل

وهذا الجزء يشتمل على نحو ٤٠٠ صفحة استوفى فيها التأريخ القديم وأتى على قسمٍ كبير من تأريخ القرون المتوسطة الى نحو السنة الألف للميلاد فجآء فيهِ ذكر الفتح الاسلامي وما تلاهُ من الدول العربية الشرقية والغربية وما بين ذلك من مهمّات الحوادث ثم دولة بني عثمان الى وفاة السلطان محمد الثاني وكل ذلك بعبارة موجزة وافية بالمراد

فنحضّ جمهور المتأدبين من ابنآء وطننا العزيز على اقتنآء هذا الكتاب النفيس ونثني على مؤلّفهِ الثنآء الطيِّب لما عانى في جمعهِ وترصيفهِ كما نسأل لهُ التوفيق الى سرعة اتمامهِ ونشر ما بقي منهُ افادةً للمطالعين